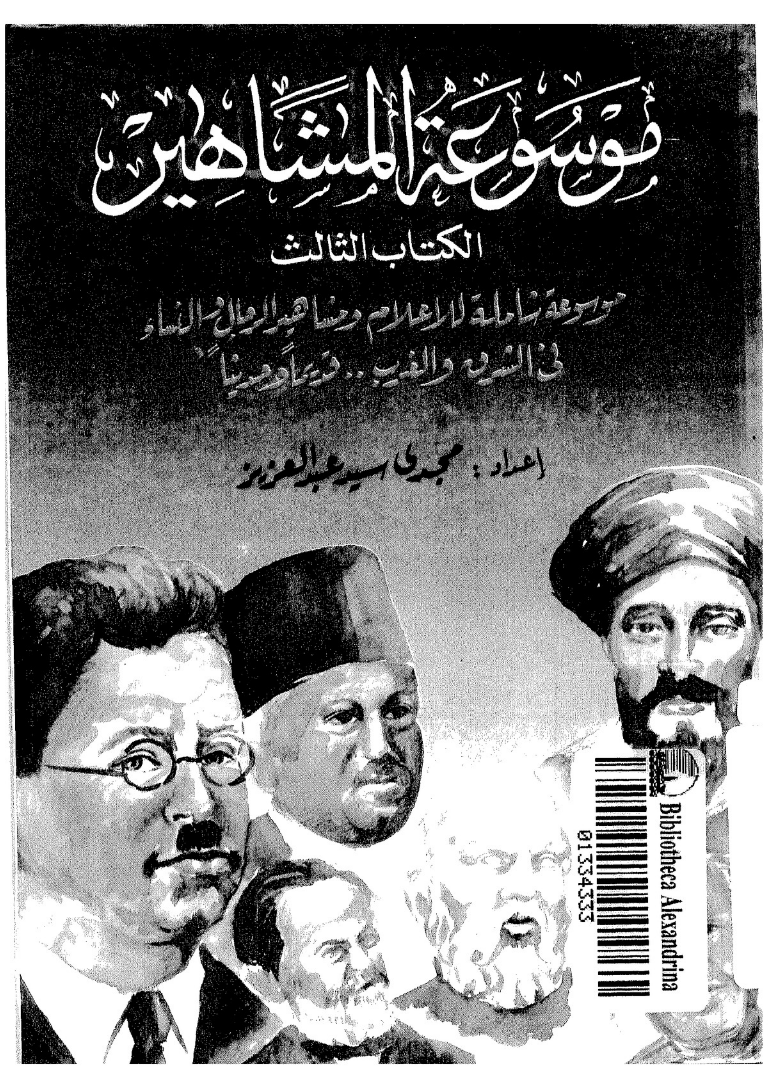


موسوعة المشاهير
الكتاب الثالث
موسوعة شاملة للأعلام ومشاهير الرجال والنساء
في الشرق والغرب .. قديماً وحديثاً
إعداد : مجدي سيد عبد العزيز

موسوعة المشاهير

الكتاب الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

صدق الله العظيم



DAR AL AMEEN

طبع * نشر * توزيع

القاهرة : ١٠ شارع بستان الدكة من شارع الألفى (مطابع سجل العرب)

تليفون : ٩٣٢٧٠٦

ص.ب: ١٣١٥ العتبة ١١٥١١

الجيزة : ٨ شارع أبو المعالى (خلف مسرح البالون) العجوزة

تليفون : ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوهاج من ش الزقازيق خلف قاعة سيد درويش بالهرم

ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع ٥٤٤٨/ ١٩٩٥

I.S.B.N.

977-279-007-6

موسوعة المشاهير

موسوعة شاملة لأعلام ومشاهير الرجال والنساء فى الشرق والغرب .. قديمًا وحديثًا

الكتاب الثالث

مجدى سيد عبد العزيز



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل : ٩٧)

إهـــداء ...

إلى ، عبير روحى ،

سيدتى :

كيف استطعتِ غزوَ قلبى

وقد كان محصّنًا تمامًا ضد أى

غـــزو ؟

وكيف استطعتِ غزوَ عقلى

وقد كان محاطًا بأسوارٍ

حديدية ؟

لابد أنّكِ ماهرة وشجاعة جدًا ..

فقد انهارت كل الحصون والأسوار !!

الفهرس

المقـــدمـة

ليس هدفنا من وراء هذه الموسوعة أن نعرض لأعلام شرقيين وغربيين ، لكى تتعرف على سيَرهم فقط .

بل إننا نرغب فى أكثر من ذلك ، وهو أن تحب هذه النوعية من الكتب .. كتب التراجم .. على عمومها .. نعم .. ما الذى سوف تخسره لو أنك طالعت قصة حياة أحد العباقرة ، أو العظماء ، فى أى مجال ؟ ما الذى سيضيرك لو أنك قرأت سيرة الإسكندر الأكبر . ذلك القائد العبقرى .. أو تولستوى ، الأديب الروسى العظيم .. أو بيتهوفن ، أحد عباقرة الموسيقى الألمانية .. أو رمسيس الثانى ، أشهر الفراعنة .. أو .. أو .. ؟ .

إنه لا خسارة ولا ضرر .

بل فائدة عظيمة ، ومتعة أعظم .

وأنا أضمن لك ثقافة موسوعية بعد مطالعاتك تلك .

فقط ابحث عن هذه الكتب ، وهى كثيرة ، وانظر إلى النماذج التى تقدمها لك ، وتعايش مع صاحب كل ترجمة .. وتعرَّف إليه .

متى ولد ؟ .. أين ولد ؟ .. بيئته التى نشأ فيها .. دراسته .. كفاحه .. الإنجاز الذى حققه لمجتمعه .. بصماته التى تركها للإنسانية .

وبعد ذلك .. تأمَّل وتفكَّر .. وانظر .. هل هناك من شىء تقتدى به من حياة هذا الرجل أو ذاك ؟ .

ومن المؤكد أنك ستجد أشياءً .. وليس شيئاً واحداً .

إننى أزعم أن هناك نوعين من الكتب ، لو وقعت عليهما يد القارئ ، فسوف تزداد حصيلته المعرفية كثيراً .. وفى فترة وجيزة :

الموسوعات .. وكتب التراجم

فالموسوعات تقدم لك أشتاتاً مجتمعة من العلوم والآداب والفنون والتاريخ والجغرافيا والرياضة والأرقام القياسية .. وغير ذلك .

كل هذا فى كتاب واحد .. تقرأه فى أيام .. ولو ذهبت تستقى هذه المعارف من مصادرها المختصة ، لكلفك ذلك كثيراً .. وقتاً وجهداً ومالاً .

أما كتب التراجم ، فهى موسوعية كذلك ، ولكنها فى مجال واحد .. فهى تعنى باستعراض حياة الكثيرين من أعاظم المفكرين والعلماء والفلاسفة .

فماذا قدّم هذا الكتاب الثالث من هذه الموسوعة المتواضعة من هؤلاء ؟ .

إحدى وعشرين شخصية .

من الشّارح الأكبر ، وشهيد الفلسفة ، وأينشتين مصر ، والدكاترة ، ورائد علم الاجتماع .. إلى أشهر ملكات التاريخ ، ومكتشف البلهارسيا ، وعبقرى الرياضيات .. وأخيراً مُصلح الشرق .

وستجد بينهم الفيلسوف والأديب والمخترع والمكتشف والمصوِّر والموسيقى والمُصلح .. وغيرهم .

إن هذا الكتاب لبنة صغيرة ، نساهم بها فى بناء صرح ثقافتك .. وثقافة الجميع .

مجدى سيد عبد العزيز

مدينة ١٥ مايو - يناير ١٩٩٦

« تاريخ حياة الناس ..
هو أصدق التواريخ »

توماس كارليل



ابن رشد

(١١٢٦- ١١٩٨)

الشارح الأكبر

- إنه فيلسوف الأندلس الأول بلا مُنازِع .. وواحد من أكبر فلاسفة المسلمين وفقهائهم .. والذى اشتهر فى تاريخ الفكر الأوربى بوصفه شارح فلسفة أرسطو ، المعلم الأول ، الذى فُتن به وبآرائه .

ولد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد فى قرطبة بالأندلس ، عام ٥٢٠هـ - ١١٢٦م ، فى بيتٍ عامر بالفقه والقضاء والعلوم الإسلامية .. وكان القضاء هو العمل الذى مارسه أبوه وجده وهو العمل الذى مارسه ابن رشد نفسه .. ولما كان اسم ابن رشد مشتركاً بين الثلاثة ، فقد عمد بعض الكتاب إلى التمييز بينهم بقولهم : القاضى ابن رشد الجد ، والقاضى ابن رشد الابن .. ولم يختلف الأحفاد عن الأجداد ، فقد اشتغل أبناء ابن رشد فى الفقه ، باستثناء واحد منهم انصرف إلى الطِّب .

ولم تقف ثقافته عند الفقه والشريعة ، بل كانت واسعة وشاملة .. فقد استوعب أهم وأكثر ما جاد به زمنه من معارف وعلوم وآداب .. بدأ باللغة ، فدرس القواعد والأصول ، واغترف من شعر المغرب والمشرق ما أمكن ، وكان لأشعار أبى تمام والمتنبى مكانة خاصة فى قلبه ، وقد كثر استشهاده بهما فى المجالس .

ثم عكف ابن رشد على دراسة القرآن الكريم ، والحديث والشريعة وعلم الكلام ، وحفظ موطأ الإمام مالك غيباً ، وكان مذهب مالك هو مذهب أبيه وجده ، والمذهب الأوسع انتشاراً فى الأندلس .. وكان الموطأ قد احتل مكان الصدارة بين المراجع الفقهية فى بلاد المغرب جميعاً ، هذا بالرغم من حداثة عهد المغرب به .

وقد كان والد ابن رشد هو المُعلِّم الأول له ، والذى حصَّل عنه العلوم الشرعية والمذاهب الدينية .. والتحق ابن رشد بعد ذلك بجامعة قرطبة وتابع دراسة الفقه فيها .. إذ كان لابد أن يُعَدَّ الإعداد المناسب للعمل المناسب ، عمل القضاء .

ولكنه تخصص فى الطب بجانب الفقه ، كما درس الفلسفة وقرأ فيها بنفسه .. وقد كانت الفلسفة تسير جنباً إلى جنب مع الطب فى ذلك العهد وقبله .

وتخرج أبو الوليد ابن رشد من الجامعة القرطبية ، وراح يمارس الطب فى قرطبة ، وانصرف فى الوقت نفسه إلى الاشتغال بالفلسفة ، ولم يكن له من باعث على دراساته الفلسفية آنذاك سوى حب المعرفة .. وقد بلغ من شغفه بها وإقباله عليها أنه « لم يدع النظر ولا القراءة منذ عَقَل ، إلاَّ ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه – أى زواجه – بأهله » .. كما يقول أحد كتَّاب سيرته .. وفى عام ١١٥٣ قصد مُراكش فى المغرب ، ثم عاد إلى الأندلس حيث عكف على تأليف كتابه « الكليَّات » فى الطب .

ثم انتقل مرة أخرى إلى المغرب ، ومدينة مُراقش بالتحديد ، وكان قد تسلم الحكم فيها السلطان « أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن » ، الخليفة الثانى لدولة

الموحِّدين ، والذى أطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين .. وكان محبًا للعلم وأهله ، وكان من أصدقائه وندمائه الذين يجمعهم فى بلاطه ، الفيلسوف الأندلسى « ابن طفيل » (١١١١ - ١١٨٥) صاحب قصة « حى بن يقظان » الفلسفية .. وقد طلب السلطان من ابن طفيل أن يشرح له فلسفة أرسطو ، فاعتذر إليه « نظراً إلى تقدم سنه وفتور همته » .

وكان ابن طفيل صديقاً لابن رشد ، فرشحه للسلطان .. وبالفعل استقدمه من قرطبة ، وكان ذلك أواخر عام ١١٦٤ ، وعمره لا يجاوز ٣٨ عاماً .. ولم يكن ابن رشد على علم بسبب مقابلة السلطان له ، والذى راح يستوضحه عن أبيه وجده وحسبه .. ثم فاجأ ابن رشد بهذا السؤال : « ماذا يقول الفلاسفة فى أصل العالم .. هل هو قديم أم مخلوق ؟ » .

وارتبك أبو الوليد بن رشد عندئذ واضطرب كثيراً ، وشعر وكأنه فى قفص الاتهام ، وأن الاشتغال بالفلسفة هو التهمة الموجهة إليه ، وقد كانت كتهمة الكفر والزندقة ، تستوجب عقوبة الموت فى بعض الأحيان .

فأخذ ينتحل المعاذير ، حتى كاد أن ينفى اشتغاله بالفلسفة ، ولم يكن يدرى ما كان يخبئه له السلطان ومستشاره ابن طفيل .. فقد طلب منه وكلفه بمهمة شرح فلسفة أرسطو وجعلها مفهومة مستساغة للناطقين بالضاد ، إذ كان الغموض يكتنف فلسفة المعلم الأول ، ولطالما شعر أبو يعقوب يوسف بأنها فى حاجة إلى تحريرها من المذاهب التى اختلطت بها ، فضلاً عن حاجتها إلى التفسير .. ولم يقف احتفاء وتكريم السلطان لابن رشد عند هذا الحد ، فقد عهد إليه بمنصب القضاء فى « إشبيلية » بالأندلس عام ١١٦٩ ، ثم رقَّاه وعهد إليه بمنصب قاضى القضاة فى قرطبة عام ١٧٧١ ، وطال بقاؤه فى هذا المنصب الكبير نحو عشر سنوات .

وكان ابن رشد راضياً سعيداً فى أعماله تلك ، فقد شغل اثنان من أجداده هذا المنصب قبله ، كما أن عمل القضاء حقق له أمن ومكانة ، ثم إنه يشتغل بالفلسفة والكتابة التى تتوق لها نفسه .. ولعله ازداد رضى وسعادة حينما قرّبه السلطان منه واختاره ليكون طبيبه الخاص ووزيره ، وقد تم ذلك عام ١١٨٢ ، وبتوصية من صديقه المُسن ابن طفيل الذى اعتزل السياسة وقتها .

وقد حققت له هذه الصلة الوثيقة بالسلطان المزيد من الاطمئنان ، وأفسحت له المجال للمزيد من الدراسة والكتابة .

وتوفى السلطان عام ١١٨٤ ، وخلفه ابنه « المنصور » الذى انتصر على ملك قشتالة « ألفونسو » إثر حملته على الأندلس ، فغمر طبيبه ووزيره ابن رشد بالنِعم ، وفاق فى تقديره أكثر مما كان أبوه يقدّره .

كان من نتيجة ذلك أن كثُر حسّاد ابن رشد ، ونقم عليه البعض فرموه بالكفر ، وحرّكوا العامة عليه ، وطالبوا بمحاكمته ! .. وحُمل المنصور على مجاراتهم ، فما لبث أن أصدر أمره فجأة بإبعاد ابن رشد إلى « أليُسانة » ، وهى بلدة صغيرة بالقرب من قرطبة ، وكانت لليهود سابقاً .

ومع الإبعاد كان الأمر بالإقامة الجبرية فيها ، ورافق ذلك كله ضروب من الإهانة والإساءة ! .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقط من محنة ابن رشد ، أو كما يسميها المؤرخون « نكبة ابن رشد » ، ولكنها تكللت بإلقاء كتبه فى النيران لتحترق فيها ! ، ولاسيما الكتب الفلسفية منها .

وأصبحت النكبة نكبتين ، نكبة ابن رشد الرجل الفرد ، ونكبة الأمة العربية بأسرها نظراً لهذه الثروة الفكرية التى التهمتها النيران .

وبعد سنتين قضاهما ابن رشد فى المنفى ، وبعد ما سكنت ثورة الحسّاد ،

صدر العفو عنه ، واستُدعى إلى مُراكش ، حيث فضل العيش فى عُزلة عن الحياة السياسية وأجواء البلاط .. وبعد عام واحد توفى هذا الفيلسوف المُفترى عليه عام ٥٩٥هـ - ١١٩٨م ، عن اثنين وسبعين عاماً .. ودفن فى مُراكش ، ثم نقل رفاته فى السنة نفسها إلى مسقط رأسه ، قرطبة ، حيث رقد فى ضريح أجداده .

لقد علمنا أن النار قد التهمت قسماً كبيراً من مؤلفات ابن رشد ، على أن ما وصلنا منها يعطى فكرة واضحة عن المركز الذى تبوأه فى عالم الفكر .. ولا يُعرف على وجه الدقة عدد الكتب التى ألَّفها ، وقد ذكر أحد المؤرخين أنه كتب نحواً من (١٠٠٠٠) ورقة ! ، وذكر غيره أنه صنف ما يزيد عن (٥٠) كتاباً ، لم تخرج عن موضوعات اختصاصه الثلاثة : الطب والفقه والفلسفة .

ومن أبرز هذه المؤلفات :

كتاب « **الكليات** » فى الطب ، الذى نافس فى الشهرة كتاب « **القانون** » لابن سينا .. و « **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** » و « **قانون الإرث** » فى الفقه .. وفى الفلسفة يُعد كتابه « **تهافت التهافت** » أبرز مؤلفاته فى هذا المجال ، والذى رد فيه ابن رشد على كتاب « تهافت الفلاسفة » للإمام الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) الذى هاجم فيه الفلسفة والفلاسفة .

وقد ولد ابن رشد بعد وفاة الغزالى ، إلا أنه ردَّ عليه اتهاماته ومغالطاته ومآخذه على الفلاسفة .

ومن كتبه الفلسفية كذلك ، كتابان صغيرا الحجم ، هما : « **فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من اتصال** » .. وكتاب « **الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة** » .

والكتاب الأول منها ، هو رد لابن رشد على كتاب آخر للغزالى هو : « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » .

أما شروحه لفلسفة أرسطو ، فيمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات .. هى : كتب التلخيص .. وكتب الشرح والتفسير .. وكتب الجوامع .

أما كتب « التلخيص » ، فهى التى لم يلتزم فيها ابن رشد بالنص الأصلى ، بل أعاد كتابته بلغته وأسلوبه على نحو من التبسيط .

وكتب « الشرح والتفسير » ، هى أهم ما كتب ابن رشد بقصد إيضاح فلسفة أرسطو ، ولم تصلنا أكثر هذه الشروح بالعربية وإنما بالعبرية واللاتينية ، وقد التزم ابن رشد فيها بالنص الأصلى ، وأبدى رأيه الخاص فى كل فكرة أو فقرة ، ولعل كتابه « تفسير ما وراء الطبيعة » هو فى طليعة هذه الشروح جميعاً ، فهو يقيم الدليل على تفهم ابن رشد لفلسفة أرسطو ونجاحه فى تحريرها مما شابها من فلسفة الأفلاطونية الجديدة .

وكتب « الجوامع » ، هى التى تأتى وسطاً بين الفئتين من حيث التبسيط ، وقوام هذه الشروح عبارات اقتطفها ابن رشد من الأصل ، وراح يفسرها ويعلق عليها بإسهاب أو اقتضاب ، وفِق ما يقتضيه ذلك الأصل .

وقد صرف ابن رشد عنايته نحو قضية هامة ، من أبرز القضايا التى رافقت الفلسفة الإسلامية ، وهى قضية التوفيق بين الفلسفة والدين ، أو بين الحكمة والشريعة .. فقد باتا فى نظر الكثيرين على أنهما متنافيان متناقضان .. وأراد هو أن ينبِّه إلى وحدة الحقيقة ، ومن أجل ذلك ألف رسالته : « فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من اتصال » .

وقد أثبت ابن رشد صلة الشريعة بالحكمة فى رأيه بحقيقتين :

الأولى : أن الشريعة – أى الدين – تحث على اعتبار المخلوقات اعتباراً عقلياً ، وتنص على وجوب استعمال القياس العقلى .. وما الحكمة – أى الفلسفة إلاّ درس الموجودات بالقياس العقلى ، وعليه فلا فرق بينهما فى الطريقة .

الثانية : أن الشريعة والحكمة تلتقيان فى وحدة جوهرية من حيث أنهما وجهان لحقيقة واحدة ، فالشريعة هى درس صانع العالم – أى الله تعالى – ، والحكمة درس الموجودات للاستدلال بها على صانع العالم ، إذا فالغاية فيهما واحدة ، أما اختلاف الوسيلة فيرجع إلى اختلاف الدارسين .. هذا وبعد أن أثبت ابن رشد بآرائه الصلة بين الدين والفلسفة ، دافع عن الفلاسفة ، وقال بخطأ تكفيرهم .. ورأى أنهم وإن كانوا قد أخطأوا أحياناً ، إلا أنهم كانوا مخلصين فى محاولتهم ، ولذلك لا يجوز تكفيرهم بوجهٍ من الوجوه ، فالمُخطئ له أجر واحد ، وللمُصيب أجران .

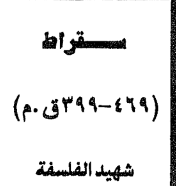
لقد عشق ابن رشد المعرفة ، وشغف بالبحث عن الحقيقة ، وكان على يقين من أن الفلسفة ضرورة من ضرورات الحياة ، بالنسبة إلى الخاصة من الناس على الأقل .. ووجد أن حرية الفكر هى الأساس الذى لا تقوم بدونه أية فلسفة .. أما أرسطو فكان فى نظره سيد الفلاسفة جميعاً .. ثم إنه آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، إيماناً راسخاً لم يتزعزع أبداً ، ورأى أن الشريعة الإسلامية هى الدستور المثالى للدولة .. فالرجل إذاً لم يُلحد ولم يكفر ولم يخرج عن الملّة .

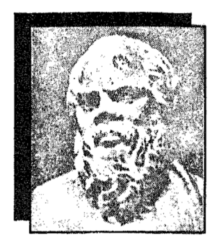
ولم يكن ابن رشد نهاية الفلسفة العربية وخلاصتها الواضحة فحسب ، وإنما كان نقطة انطلاق الفلسفة الغربية أيضاً ، فقد استعان به توماس الأكوينى ، والفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون ، واسبينوزا ، ولايبنيتز ، وإرنست رينان الذى كتب رسالته الشهيرة عن « ابن رشد والرشدية » .. كما سمّاه الأديب الإيطالى الكبير دانتى الليجيرى « الشّارح الأكبر » .

وقد انتشرت شروحه وآراؤه فى أوربا وبلدان أخرى كثيرة ، وأقامت الأوساط الفكرية فيها وأقعدتها .

والغرب يعرفه باسم AVERROES ، أما فلسفته « الرشدية » فهى عندهم AVERROISM .

★ ★ ★





- يعد سقراط من كبار الفلاسفة وشيوخ الحكمة الذين أثروا فى تطور الفكر البشرى ، وتقدم الفلسفة رغم أنه لم يكتب حرفاً واحداً ، وليس له مؤلفات يُرجع إليها ويُعتمد فى تحديد مواقفه الفكرية عليها .

فمن أين إذن عرفنا آراءه الفلسفية ، وصفات شخصيته ؟ .

عرفنا ذلك من خلال أفلاطون ، أكبر تلاميذه ، الذى كتب « محاورات أفلاطون » ، تلك المحاورات الخيالية التى جرت بين سقراط وتلاميذه ، والتى أوضحت لنا الجوانب المختلفة لشخصيته وكذلك من خلال ما كتبه زينوفون عنه ، وإن لم يبلغ صحة ودقة أفلاطون .

كذلك ذكر أرسطو - مع أنه لم يره - آراءه فى أكثر من كتاب ، وفى أكثر من موضع وبخاصة فى كتاب الأخلاق .

وإذا كان أصدقاء سقراط وتلامذته قد غالوا فى الإشادة بمزاياه وفضائله ، فإن خصومه قد بالغوا كذلك فى تسفيه آرائه ، وانتقاص قدره .. بل إن بعض المحدثين فى فرنسا ينكرون صحة وجود سقراط أصلاً ، ويزعمون أن تلك المحاورات هى آراء أفلاطون نفسه ، ومن فرط حبه لأستاذه ومعلمه سقراط ، نسبها إليه ! .

وقد كان سقراط مثل الكثيرين من عظماء الرجال وأفذاذ الإنسانية ، يبعث الحب والإعجاب والتقدير فى قلوب الناس ، ويثير العداوة والحقد الشديد فى قلوب فريق آخر منهم .

وقد قدم هذا الفيلسوف للعالم مثلاً نادراً فى سمو التعاليم ، والوقوف إلى جانب ما اعتقد أنه الحق ، والتضحية بالذات فى سبيل حرية الرأى ، والاستهانة بالأخطار الراصدة والمخاوف المحدقة ..

ولد سقراط عام ٤٦٩ قبل الميلاد ، على مقربة من أثينا باليونان ، بعد موقعة سلاميس المشهورة بعشرة أعوام ، التى انتصر فيها الأثينيون على الفرس .

كان أبوه « سوفرو نيسكاس » نحاتاً ، يصنع التماثيل .. أما والدته ، فيناريت ، فقد كانت قابلة ، أى مُوَلِّدة .

ويُروى أنه هو نفسه بدأ حياته باتخاذ صنعة أبيه ، وأنه نحت تمثالين .. وكان من الفكاهات التى لا ينفك ينطق بها عن نفسه قوله إنه لم يفعل أكثر من مواصلة حرفة أمه ! ، ولكنه نقلها إلى مجال الأفكار . فكان يساعد غيره من الناس على أن يُخرجوا للعالم أفكارهم الكامنة فى بواطن نفوسهم .. أى أنه كان يتبع منهج « التوليد » .. أى توليد المعانى والأفكار من الرءوس .

وفى أكثر الروايات أنه كان فقيراً ، وليس كأفلاطون الذى كانت أسرته من النبلاء .. فهو مواطن أثينى رقيق الحال ، من طبقة الشعب ، وقد عُنى عناية كبيرة بصحة جسمه ، وكان فى أغلب أيامه قوى البنية ، جيد الصحة .

وقد تجلت شجاعته وقوة صبره واحتماله فى أثناء حرب البلوبونيز .. وحروب أخرى .

وأنقذ حياة ألسيباديس ، وهو من الشخصيات اللامعة فى حياة أثينا ، ومن أشهر تلامذة سقراط ، وذلك فى معركة بوتيديا .

وقد بزَّ الجميع فى قوة الاحتمال ، والصبر على المتاعب دون أن يشكو .. ولم يكن كَلِفاً بالأسفار والرحلات ، ولذلك لم يترك أثينا إلا فى الحملات الحربية ، وأوقات الجهاد .

ولم يكن سقراط مقبول الشكل .. فقد عُرف بأنفه الأفطس ، وشفتيه الغليظتين ، ولحيته الكثَّة ، وعينيه الجاحظتين .. ولكنه كان ساحر الحديث ، وكان مريدوه لا يعدلون شيئاً بالاستماع إلى أحاديثه المستطابة وعباراته الخلاَّبة ، وتستهويهم دماثة شمائله ، وفطنته الحادة ، وبصيرته النفاذة ، وبساطته فى عرض أفكاره ، ومنطقهِ المتماسك ، وقدرته الفائقة فى الجدل والنقاش .

وكان متقشفاً فى معيشته ، يقنع بثوب بسيط رث طوال العام ، ويؤثر أن يسير بغير حذاء أو خُف ! . وكان مثالاً يُحتذى فى امتلاك زمام النفس ، والسيطرة على الأهواء ، والقناعة والزهد .. وبرغم ذلك لم يسلك فى حياته مسلك القديسين .. وكان لا يأبى الدعوة إلى ولائم الأثرياء ، ولكن دون أن يفرِّط فى كرامته ، أو أن ينزل عن آرائه ، وكان يرفض هدايا الكبراء والملوك ، وكان يأكل عندما يسأله تلاميذه أن يشرِّف موائدهم ، وهذا يدل على أنهم أحبوا عشرته ومرافقته .. ولم يكن يهتم بفقره ، ولم يُبالِ بالغد ، ولم يكن يفارق ميله إلى الدعابة ورقة الحاشية .

وقد تزوج من امرأة تُدعى « زانتيب » ، عُرفت بسلاطة اللسان ، وكانت تعيب عليه إهماله لشئون أسرته ، وترى أنه كسول لا يصلح لشىء ! ، ولا يوفر لعائلته من الغذاء أكثر من الخبز .

وكان سقراط يتفاداها ويهرب من شرها ، ويترك البيت منذ الصباح ، ولا يعود إلا بعد حلول الظلام ..

سألوه يوماً : « أين كنت تقضى تلك الساعات الطويلة بعيداً عن بيتك وزوجتك وأبنائك الثلاثة ؟ » .. قال « كنت أذهب إلى معبد من المعابد الصغيرة فى أثينا ، لأجلس فى ركن منه ، أفكر وأتأمل ، فإن مللت الجلوس وحدى خرجت أبحث عن حمَّام عام أغتسل فيه ، ثم أبحث بعد ذلك عن الناس لأجلس إليهم وأحدثهم ، وأستمع إلى مايقولون .

وقالوا له : « لماذا اختاروك أحكم الحكماء فى اليونان ؟ » .. فقال فى هدوء وهو يمسح لحيته بكلتا يديه : « ربما لأننى الرجل الوحيد الذى يعرف أنه لا يعرف شيئاً عن الطلاق » .

على أن سقراط نفسه كان يعترف بعدالة شكواها ، ويتقبل نقدها له بصدر رحب ، ويُثنى على كرم أخلاقها وحسن اضطلاعها بشئون المنزل وتعهد أطفالها .

ومن المؤكد أنه كان يدور بينهما حوار ، بل حوارات ، غير أن أفلاطون أخفق فى تسجيله عنهما .. وبرغم ذلك ، فقد أحبته هذه الزوجة ، ولم تقو على رؤيته وهو فى السجن قبل أن يموت بالسم .. وقد كان سقراط بطبيعته ميالاً إلى النقاش والجدل ، وقد عمد إلى دراسة الفلسفة ، وأعجب حيناً ما بالسفسطائيين الذين انتشروا فى أثينا أيام شبابه ، والتقى أيضاً ببعض فلاسفة عصره ، الذين جاءوا قبله ، أمثال طاليس وهرقليطس وبارميندس وزينون وفيثاغورس .. ولكنهم كانوا فى الدرجة الأولى فلاسفة طبيعيين .. فقد بحثوا عن طبيعة الأشياء الخارجية ، عن قوانين وأصول العالم المادى .

لقد قال سقراط : إن هذه – أى الفلسفة الطبيعية – فلسفة حسنة ، ولكن هناك فلسفة أجدر بالفلاسفة أن يدرسوها أكثر من جميع هذه الأشجار والحجارة التى تملأ الطبيعة ، وأهم من جميع هذه النجوم والكواكب .. وهى عقل الإنسان .. ما هو الإنسان ؟ .. وإلى أى شىء سيتحول فى المستقبل ؟ .

وهكذا تحول من علم الطبيعة وفلسفتها إلى علم الأخلاق .. وأخذ يختبر معتقدات الناس ليرى الأسس التى قامت عليها هذه المعتقدات .. وكان يطلب ممن يوجه إليهم الأسئلة إجابات دقيقة محددة لا يشوبها التناقض .. وكان يصارح الناس بأنه لا يعرف شيئاً ، وأنه ليس سوى هاوٍ من هواة الفلسفة .

وقد أراد صاحبه وتلميذه « كريفون » أن يعرف ما إذا كان هناك أحكم من سقراط فى اليونان أم لا ؟ فتوجه إلى معبد « دلفى » ، معبد النبوءات فى اليونان ، وسأل عرّافته الشهيرة ، فأجابت بأنه ليس هناك من هو أكثر حكمة من سقراط ! .

ولكن سقراط – الذى كان متواضعاً بطبيعته – حاول أن يثبت خطأ نبوءة العرّافة ، فراح يبحث للعثور على من هو أعظم منه حكمة ، ولكنه بعد تبادل الحديث مع مختلف صنوف الناس ، انتهى إلى صواب مقولة العرافة .. فعلى الرغم من أنه كان سواء فى الجهل مع الآخرين ، فإنه كان على الأقل مدركاً جهله ، وفى ذلك يقول : « لا أعرف سوى شىء واحد وهو أننى لا أعرف شيئاً » ! .. أما غيره فقد كانوا يظنون أنفسهم عقلاء وحكماء ، ويعرفون كل شىء ! .

وما قالته الكاهنة أو العرافة بعث سقراط على التفكير العميق ، وعده شبه أمرٍ له ليعمل به ويقوم بتنفيذه .

وهكذا صار سقراط ، الفقير الذى لا مال له ولا جاه ولا سيطرة سوى نفوذ بعض أصدقائه من معاصريه الممتازين - صار يعتقد أن له رسالة مقدسة .. وأن عمله فى حياته هو أن يختبر ويحاول ويكشف إذا استلزم الأمر حكمة غيره المزعومة .. وكان هذا بدء المتاعب ! .

فإخوانه المواطنون لم يستريحوا لذلك الكشف الذى يظهر تهافت أفكارهم .. وأصبح سقراط فى رأيهم رجلاً مولعاً بالأسئلة المعقدة ليُشبع حب الاستطلاع الذى سيطر على نفسه .. فما هدفه ؟ .. إنه لا يعمل شيئاً ، ولا يقدم جواباً ، وإنما يثير شكوك الناس فى آرائهم ، ولا يستطيع أحد أن يُجاريه فى ميدان الجدل والنقاش .

وعرف سقراط أنه سيثير عداء الكثيرين ، ولكن هذا لم يَثْنِ عزمه ، وحاول فى بادئ الأمر أن يجرى تجربته على أحد السياسيين البارزين فى عصره ، وكان هذا السياسى يخال نفسه غاية فى سداد الرأى وحُسن السياسة ، ولم يجد سقراط عند هذا السياسى صحة المعرفة واتساق الآراء وتماسك المنطق ، وأدرك أنه أحسن حالاً منه ، لأن هذا السياسى لا يعرف شيئاً ويحسب أنه يعرف كل شىء ، فى حين أن سقراط يقر بجهله وقلة معرفته .. وقد صار هذا السياسى يمقت سقراط أشد المقت لأنه أربكه وأوقعه فى حيرة من أمره .

وكان هذا هو حال الكثيرين ممن حاول سقراط أن يبلو علمهم ، ويختبر حكمتهم ، وكشف بعد ذلك سطحية آرائهم ، وتفاهة تفكيرهم .

وكانت طريقة سقراط فى نقاشه أن يدعى الجهل ، ويتلقى إجابة مُحَدثه بالتسليم ، ثم يُلقى عليه الأسئلة التى تثير الشكوك وتوقع مُحدثه فى التناقض والاعتراف بالجهل .. وهذا ما عُرف بالسخرية السقراطية .. وكان يرمى من

وراء ذلك إلى إظهار المعرفة الخاطئة ، وحث الناس على تحرى الحقائق ، وطلب المعرفة الصحيحة .

وكان فى المرحلة الثانية يلقى الأسئلة فى ترتيب منطقى يجعل من الميسور الانتهاء إلى الحقائق ، وكان هذا ما أسماه سقراط نفسه بالتوليد ، أى مساعدة الناس على أن يستخرجوا الحقائق بأنفسهم ، وكان يوجه عنايته إلى تحديد الألفاظ والمعانى التى تحتويها ، على خلاف السفسطائيين الذين كان عدم التحديد يتيح لهم الفرصة للإغراق فى المغالطات والتشكيك فى الحقائق .

وقد اعترض البعض على طريقته هذه ، وقالوا إنه يسأل أكثر مما يجب ، ويترك عقول الرجال أكثر اضطراباً مما كانت عليه قبل المحاورة والنقاش أو الحديث .

ومع ذلك فقد قدم إلى الفلسفة جوابين ثابتين لسؤالين تناولا مشكلتين من أكثر مشاكلنا تعقيداً ، وهما : ما هو معنى الفضيلة ؟ وما هى أفضل دولة ؟

وآمن بأن الآثام كلها وليدة الجهل ، وأن الناس لو عرفوا فقط ما هو الحق ، إذن لما وجدوا صعوبة فى اتباعه .. وهذا هو معنى القول المأثور الذى يُعزى إليه : « الفضيلة هى المعرفة » .. وأنه : « ما من أحد يرتكب الخطأ بمحض إرادته » .. وهناك قول ثالث ينسبه بعضهم إليه وهو : « من الأفضل أن نعانى من الظلم من أن نمارسه » .

ولما أن بلغ سقراط السبعين من عمره ، قدم للمحاكمة ، بسبب تهمتين وجهتا إليه .. الأولى : أنه لا يؤمن بآلهة المدينة ، ويدعو إلى عبادة غيرها من الآلهة .. والثانية : هى أنه أفسد أخلاق الشباب فى أثينا ، وجرأهم على الاستهانة بالتقاليد والخروج على طاعة آبائهم .

وأحيلت القضية على محكمة مشكَّلة من قضاة منتخبين من عامة الشعب بطريق الاقتراع ، وليس للكثير منهم نصيب من الثقافة أو المعرفة المستفيضة ، وكان عددهم خمسمائة قاض .

وكانت المحاكمة عَلَنية ، وأمام الجميع .. وواجه سقراط القضاة ، وكان يستطيع أن يتبرأ من التهمتين لو كانت لديه الرغبة فى التنصُّل من رسالته ، والتخلى عن مبادئه . إلا أنه لم يفعل شيئاً من ذلك .. بل صارحهم قائلاً : « إذا قلتم لى : يا سقراط ، إنا سنعفو عنك الآن ، ولا نشترط عليك إلا أن تكف من هذه الساعة عن متابعة البحث والتفكير على هذا النمط ، فإننى سأجيبكم قائلاً : إنى أحبكم يا أهل أثينا ، ولكنى سأطيع الله ولا أطيعكم ، ولم أمتنع ما دمت حياً وما دامت لدى قوة ، عن الاشتغال بالفلسفة وتعليمها للناس ، وعن القيام بوعظ كل من ألقاه على طريقتى الخاصة » . وساء ذلك القضاة بطبيعة الحال ورأوا فيه ما يمس كرامتهم . وينال من كبريائهم ، فأمروه أن يكف عن الاسترسال فيما رأوا فيه استهانة بشأنهم .

ولكنه مضى فى دفاعه غير عابئ بما أظهروه من الضيق والتبرم واسترسل قائلاً : « أحب أن تعرفوا أنكم إذا أقدمتم على قتل رجل مثلى أسأتم إلى أنفسكم أكثر من إساءتكم لى .. لأنكم إن قضيتم علىَّ لن يتيسر لكم أن تجدوا رجلاً آخر مثلى » ! .

وأعلنت نتيجة المحاكمة بعد إجراء الاقتراع ، فإذا بالأغلبية تقرر إدانته وتعده مذنباً .

وكان القانون يُخوِّل له حق مناقشة العقوبة المطلوبة ، واختيار العقوبة التى يرضاها لنفسه .. ولكن سقراط أصر على رفض أى نوع من أنواع العقوبة ،

لأن قبوله أية عقوبة يتضمن الاعتراف بالذنب ، وهو بحسب تقديره برىء من الذنوب ، ومن حقه أن يُثاب على ما يبذل من النصيحة وحسن التوجيه ، ومن حقه على الدولة أن يعيش على نفقتها .

وألحّ عليه أفلاطون وغيره من الأصدقاء والتلاميذ أن يقبل تأدية غرامة فى نظير العقوبة ، وتكفل أفلاطون وسائر الأصدقاء أن يضمنوا تعهُّده ، ولكنه كان قد أغضب القضاة ، وأثار نقمتهم عليه .. فلما أخذ الرأى للمرة الثانية زاد عدد أصوات الذين حكموا بإعدامه . وعندما صدر الحكم عليه ، كانت أثينا قد أرسلت وفداً من الحجيج – كعادتهم كل عام – إلى معبد أبولون فى جزيرة ديلوس ، وكان من القوانين المتبعة ألا يقام أى حكم بالإعدام أثناء زمن الحج .. وقد استغرق تلك السنة ثلاثين يوماً .

فانتظر سقراط فى سجنه عودة الحجيج ، طيلة هذا الشهر ، وكان تلاميذه يختلفون إليه كل يوم ، يتلاقون عند الفجر فى المحكمة ، فإذا ما فُتح باب السجن دخلوا ، وكثيراً ما كانوا يقضون معه النهار بأكمله ، وكان هو ينظم الشعر فى أوقات فراغه ، ويناقش تلامذته .

وعمل تلامذته على أن يمهدوا له سبيل الفرار ، ولكنه أبى ذلك ، وعده نوعاً من الخروج على قوانين بلاده التى يحترمها ، وقد نشأ وعاش فى ظل تلك القوانين ، فكيف يرضى لنفسه أن يستهين بها ويخرج عليها ؟ .

وجاءته زوجته باكية وبين ذراعيها أصغر أطفالها ، فأخذ يواسيها ، وطلب إلى أكريتون تلميذه أن يصحبها إلى دارها .

وكان سقراط يبدو منشرح الصدر ، مطمئن النفس ، واثقاً كل الثقة من أن الموت انتقال من عالم الدثور والفناء إلى عالم الخلود والبقاء .. وذلك فى يوم إعدامه .. وكان تلاميذه قد بكَّروا فى الحضور إليه .

وأعدوا كأس السم الذي سيشربه سقراط وهو سم الشوكران ، حسبما قضى الحكم ، وذلك فى نهاية اليوم بعد غروب الشمس .. وقد بكى تلاميذه من حوله وتمنوا ألا يموت .. ولكنه تعجب منهم وقال لهم : إنه قد أبعد النساء عن هذا المشهد ؛ لأنه لا يريد سماع البكاء ولا الصراخ .. وقال لهم : « افرحوا وقولوا إنكم توارون فى التراب جسدى فقط » .. وناوله السجّان السم ، بعد أن مدح سقراط لأنه لم يرَ فى حياته سجيناً أرق وأثبت منه .. ووسط بكاء تلاميذه شرب الكأس .. وظل يمشى فى غرفة السجن هنا وهناك ، إلى أن بدأ يحس بالتعب .. فاستلقى على ظهره .. وأخذوا يتحسسون ساقه ، ثم يضغطون على جسمه أعلى فأعلى ، وهو لا يحس ، والسم يسرى فى جسده ، وقال لهم : إنه سيموت عندما يصل السم إلى القلب .. وكانت آخر كلماته أنه قال لأحد تلاميذه : « يا كريتو .. أنا مدين بدين إلى اسكيبيوس .. أرجوك أن لا تنس دفع الدين » .. فقال كريتو : « سأدفع الدين .. هل هناك شىء آخر ؟ » .. ولم يسمع جواباً لهذا السؤال .. وبعد دقيقة أو اثنتين قام الخادم بتغطيته ، وقام كريتو بإغلاق عينيه وفمه .. وقال أفلاطون : « هكذا كانت نهاية صديقنا ، الذى أسميه بحق أحكم وأعدل وأفضل جميع الرجال الذين عرفتهم فى حياتى » .

★ ★ ★



مُشَــرَّفَة

(١٨٩٨-١٩٥٠)

أينشتين مصـــر

- ولد الدكتــور على مـصطفى عطيــة أحـمـد مشـرفـة فى ١١ يوليـو عـام ١٨٩٨ ، فى حى المظلوم بمدينة دمياط .

وكان والده من ذوى اليسر والجاه ، وقد عرف الإمام جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، فكان واحداً ممن تأثروا بدعوتهما إلى الاجتهاد فى الدين والاصلاح الاجتماعى ومحاربة البدع .. وقد قضى مشرفة السنوات الأولى من طفولته فى رغد من العيش وهناءة بال ، إلى أن حلَّت بوالده عام ١٩٠٧ أزمة من أزمات القطن الشهيرة ، تسببت فى محنة مالية شديدة للأسرة ، ثم توفى الوالد قبل امتحان مشرفة فى الابتدائية بشهور .

وقد حصل على المركز الأول فى هذه الشهادة على القطر المصرى كله عام ١٩١٠ .

ثم انتقل هو وإخوته الأربعة إلى حى عابدين بالقاهرة حيث أقاموا قريباً من والدة أمهم ، والتحق بالمدرسة العباسية الثانوية فى الاسكندرية بالمجان وفى القسم الداخلى . فقضى السنة الأولى من دراسته الثانوية مثالاً للتفوق والجد والعزلة فى سبيل العلم ، ثم طلب التحويل إلى القاهرة فأجيب إلى طلبه ونُقل إلى المدرسة السعيدية الثانوية فقضى بها بقية سنوات دراسته الثانوية ، وكان موضع إعجاب مدرسيه ..

وقبل أن يؤدى امتحان البكالوريا بشهرين ، توفيت والدته ، ثم أعلنت النتيجة فكان الثانى على طلبة مصر عام ١٩١٤ .

وآثر الالتحاق بمدرسة المعلمين العُليا ، وكانت الدراسة فيها ثلاث سنوات ، قضاها فى موقع الأولية إلى أن حصل على دبلومها عام ١٩١٧ ، وكان ترتيبه الثانى .

ولم يلتحق بأية وظيفة ، بل فضَّل الاستمرار فى طلب العلم ، فسافر إلى انجلترا فى نفس العام ، والتحق بكلية نوتنجهام ، وأخذ يدرس من أجل الحصول على درجة البكالوريوس فى الرياضة ، وكان الحصول عليها يستأهل أربع سنوات من الدراسة ، اختصرها مشرفة إلى ثلاث سنوات فقط ، فحصل على درجة البكالوريوس فى الرياضة مع مرتبة الشرف عام ١٩٢٠ .

وأثناء الدراسة ، تأججت ثورة ١٩١٩ فى مصر ضد الانجليز ، ومشرفة يدرس فى بلاد المستعمر ذاته ، فأحس بحرج موقفه ، وكتب إلى صديقه محمود فهمى النقراشى يقول له : إنه يريد أن يعود إلى مصر ليشارك فى الثورة .

فأرسل إليه النقراشى يقول : « نحن نحتاج لك عالماً ، أكثر مما نحتاج لك ثائراً .. أكمل دراستك .. ويمكنك أن تخدم مصر فى جامعات انجلترا ، أكثر مما تخدمها فى شوارع مصر » .

ثم سمحت له وزارة المعارف المصرية بالاستمرار فى دراسته ، حتى يحصل على دكتوراه الفلسفة فى العلوم .

وواصل مشرفة دراسته وأبحاثه ليل نهار ، حتى حصل على الدكتوراه عام ١٩٢٣ ، فى أقصر مدة تسمح بها قوانين الجامعة .. وأصبح بذلك عضواً فى الجمعية الملكية البريطانية ، ونشرت له المجلات العلمية المتخصصة عدداً من الأبحاث الممتازة فى نظرية الكم ، وأخذ يحاضر العلماء من أعضاء الجمعية الملكية يوماً بعد يوم ولما يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ! .

واستمر مشرفة يواصل أبحاثه تحت إشراف أستاذه السير ريتشاردسون Richardson ، أكبر علماء الطبيعة فى عصره .

وعاد إلى مصر ، فعمل مدرساً بمدرسة المعلمين العُليا .. إلا أن آماله فى الحصول على درجة الدكتوراه فى العلوم D. SC. ، ظلت تلح عليه منذ عودته ، فجاهد حتى حصل على تصريح بالسفر إلى انجلترا خلال الإجازة الصيفية ، وهناك واصل ليله بنهاره حتى انتهى من إعداد أطروحة دكتوراه العلوم ، فعرضها على أستاذه ريتشاردسون ، ولم تكن جامعة لندن تسمح بدخول امتحان هذه الدرجة إلا بعد مرور عامين على الأقل على حصول الطالب على درجة دكتوراه الفلسفة فى العلوم ، وتقدم مشرفة – بناءً على نصيحة أساتذته – يلتمس إذناً خاصاً من مجلس إدارة الجامعة يمكنه من دخول الامتحان فى أقرب فرصة نظراً لأنه نشر أبحاثاً علمية جليلة القدر .

ووافق المجلس بصفة استثنائية ، وأدى مشرفة الامتحان فى الموعد المحدد من عام ١٩٢٤ .. وعاد إلى مصر ، وبعد فترة أُعلنت النتيجة ، وحصل على الدكتوراه ، فأصبح بذلك العالم الحادى عشر فى العالم الذى حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم ، وأول عالم مصرى يحصل على هذه المكانة الرفيعة .

وتقدم مشرفة بأوراقه إلى كلية العلوم بجامعة القاهرة ، لوظيفة أستاذ فى الكلية ، فعينته الجامعة أستاذاً مساعداً ، ورفضت تعيينه فى وظيفة أستاذ ، متعللة بأن سنه دون الثلاثين ! .. وقبل مشرفة الوظيفة على مضض .

ويروى أن الدكتور بينجهام Bungham عميد كلية العلوم وقتها قال لمشرفة : « كيف أكون عميدك وأنت تحمل من الدرجات العلمية ما لا أحمله ؟! » .

ثم عينته وزارة المعارف أستاذاً للرياضيات التطبيقية فى كلية العلوم عام ١٩٢٦ ، فكان بذلك أول أستاذ مصرى فى كلية العلوم ، ولما يتجاوز الثمانية والعشرين من عمره .

ثـم انتخـب وكيلاً لكلية العـلوم ، وظل يشـغل هـذا المنصب حتى عام ١٩٣٦ .

ولما أُجرى انتخاب العمادة بين أساتذة كلية العلوم ، أصدر وزير المعارف وقتها قراره بتعيين الدكتور مُشَرَّفة عميداً للكلية ، بالرغم من حصوله على أصوات أقل من غيره ، وأصبح بذلك أول عميد مصرى لكلية العلوم .

وقد سار فى عمادته للكلية على منهج علمى مدروس ، حيث كانت الإدارة المصرية تفتقد إلى مثل هذه المنهجية والعلمية فى تسيير الأمور .. وساس الكلية بما عُرف عنه من حنكة ومهارة .. وأنشأ قسماً للترجمة العلمية بها ، لأن الدراسة كانت بالانجليزية ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تعريب المراجع العلمية بهدف تمصير الكلية ، والمعاهد العُليا بوجه عام ، وحتى تكون اللغة العربية هى لغة التدريس بدلاً من الانجليزية .

كما جعل التدريس فى قسم الرياضيات التطبيقية ، وقسم الرياضيات النظرية باللغة العربية ، فى السنتين الدراسيتين الأوليين .. وشجَّع الطلبة على تأليف الجمعيات العلمية ، كجمعية الرياضيات الطبيعية .. وعمل على تشجيع البحث العلمى ، وتبادل الآراء العلمية بشأن إنشاء الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية ، والمجمع المصرى للثقافة العلمية .

وساعد على إيفاد البعثات الدراسية إلى الخارج ، وكان يتابع طلابها بالمراسلة أو الزيارة .

وفى عام ١٩٤٦ عُين وكيلاً لجامعة القاهرة .. وفى فترة ما ، لم يكن للجامعة مدير ، فعين مديراً للجامعة بالنيابة ، وهو منصب كان يتوق إليه ، ويرى نفسه مؤهلاً لشغله .

وفى ذلك الوقت مُنح لقب « الباشوية » .. وكان قد مُنح « البكوية » عام ١٩٣٦ .

وأثناء إدارته للجامعة ، عمل على الارتقاء بالمستوى العلمى للجامعة المصرية ، وعنى بوضع التقاليد الجامعية التى تكفل تحقيق هدفه فى أن تضارع مثيلاتها من جامعات الخارج .

وبعد عامين فقط ، دب الخلاف بينه وبين الوزارة ، فأقصته عن وكالة الجامعة ، ولكنه ظل محتفظاً بمنصبه كعميد لكلية العلوم .

ولم يكن الدكتور مشرفة يعبأ بأبهة المنصب ، ولكنه شعر بمرارة فى إقصائه عن إدارة الجامعة ، وعانى شعوره المر فى صمت وكبرياء .

وللدكتور مشرفة ٢٦ بحثاً مبتكراً ، يختص أكثرها بالشرح النظرى لجانب من ظواهر الطبيعة ، وتعتبر من الأسس الحديثة للطبيعة النظرية .

وقد عالجت بحوثه نظرية النسبية لأينشتين ، وميكانيكا الأمواج التى كان يدرسها فى قسمى الرياضيات والطبيعيات .

وأول ما كتب مشرفة كان خاصاً بنظرية الكم ، وهى النظرية التى تجمع بين فكرة لنيوتن عن فرض أن للضوء ذرات دقيقة تنبعث من الجسم المضىء ، وتختلف أحجامها تبعاً لاختلاف اللون .

وفكرة هيجنز وأمثاله مثل كلارك ماكسويل ، من أن الضوء موجات كهرومغناطيسية ، تختلف أطوال أمواجها باختلاف اللون كذلك ، ورائد هذه النظرية هو العالم ماكس بلانك .

كما دارت أبحاث أخرى لمشرفة حول مجال المادة والاشعاع ، وهو المجال النظرى الذى انتهى إلى تفجير الذرة ، ونظرية الكم لماكس بلانك التى رأى فيها أن عملية انطلاق أو إشعاع الطاقة الأثيرية ليست عملاً متصلاً ، ولكنه يتم على دفعات .. وسمّى جزيئات وجسيمات الضوء « فوتونات » .

وباستخدام هذه النظرية . فسَّر علماء الفيزياء الحديثون أمثال نيلز بور ومشرفة ، انبعاث الضوء وبناء الذرة التى هى أساس تكوين المادة .

وقد سجل أولى نتائج بحوثه فى ديسمبر ١٩٢٩ ، ضمن نشرات المجمع الملكى البريطانى للعلوم .

وأشار فيها إلى تكوين معادلة تربط بين نشاط الالكترون وشكله ، ثم يمضى فيدرس التغيرات التى تتأثر بها المعادلة كلما زادت السرعة بالتدريج ، حتى تصل إلى حدود ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية (وهى سرعة الضوء) ، وعندها تتحول المعادلة الجزيئية أو المادية إلى معادلة موجبة .

ومعنى ذلك أن المادة والاشعاع شىء واحد ، ويمكن للمادة أن تتحول إلى إشعاع ينطلق بكميات لا حصر لها ، وليست المادة سوى نوع من الإشعاع المتجمد .

هذا وللدكتور مشرفة مؤلفات عديدة .. منها : كتاب « الميكانيكا العملية والنظرية » الذى ظهر عام ١٩٣٧ .. وكتاب « الهندسة الوصفية » الذى ظهر فى نفس العام .. وكتاب « مطالعات علمية » عام ١٩٤٣ .. وكتاب « الهندسة المستوية والفراغية » عام ١٩٤٥ .. وكتاب « العلم والحياة » عام ١٩٤٦ .. وكتاب « الهندسة وحساب المثلثات » عام ١٩٤٧ .

ومن أشهر أعماله تحقيقه لكتاب « الجبر والمقابلة » للعالم العربى الخوارزمى .. وهو الكتاب الذى أظهر فيه كيف أن الخوارزمى سبق العالم بأجيال ، وذلك بوضعه أسس ومبادئ علم الجبر .

وقد كان أول عالم مصرى تدعوه أمريكا رسمياً لإلقاء محاضرات عن الذرة فى جامعة « برنستون » ، وهى نفس الجامعة التى يعمل بها العالم الكبير أينشتين .

وهو أيضاً أول عالم مصرى يذكر فى الموسوعة العالمية للشخصيات العلمية فى طبعاتها الانجليزية .

وفى عام ١٩٤٨ أقام فى مصر أول معرض علمى للطاقة الذرية ، ولقى هذا المعرض اهتماماً من الهيئات العلمية الدولية .

وبجانب الأبحاث والدراسات العلمية ، والمناصب التى شغلها الدكتور مُشَرَّفة ، إلا أنه كان شديد الاهتمام بجانب آخر وهو الموسيقى .. وكان عالماً بها .

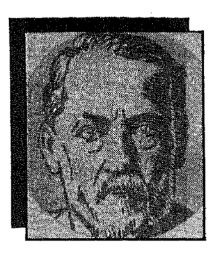
فرأس أول جمعية مصرية لهواة الموسيقى والأغانى العالمية وهو الذى أسسها .. وكان عضواً فى المجلس الأعلى لشئون الموسيقى .. وفى اللجنة المصرية لتخليد ذكرى شوبان .

وكان يهدف إلى تعريب القطع الموسيقية العالمية ، وله دراسات وبحوث فى الموسيقى ، منها دراسة مقارنة لاستخدام « الأوكتاف » ، والمقام بين السلم الموسيقى الغربى ، والسلم الموسيقى الشرقى .

وكان يهوى العزف على الكمان ، تماماً كأينشتين .. ويقول : « فى أعماق كل عالم .. فنان » .

قد توفى هذا العالم المصرى الفذ فى ١٦ يناير من عام ١٩٥٠ .





باستير

(١٨٢٢-١٨٩٥)

عالم عظيم

– إنه عالم الكيمياء والأحياء الفرنسى ، الذى يعتبر أعظم شخصية فى تاريخ الطب .. فقد ساهم باجتهادات كثيرة فى العلوم الحديثة .. ولكن فضله الأول يرجع إلى اكتشافه الجراثيم وعلاقتها بالمرض .. وأيضاً إلى اكتشافه التطعيم الواقى .

ولد لويس – أولوى – باستير فى ٢٧ ديسمبر عام ١٨٢٢ ، فى بلدة « دول » بفرنسا ، وكان أبوه ، چان چوزيف باستير « جندياً » سابقاً فى جيش نابليون ، كرَّمته بلاده لشجاعته فى الحرب ، ثم اتخذ لنفسه بعد ذلك حرفة دباغة الجلود .. كان رجلاً هادئاً صالحاً كثير التفكير .. أما أمه « چين دوك » فكانت سيدة نشطة واسعة الخيال ، ذات روح وثَّابة .. وقد ورث باستير عن والديه من صفاتهما الطيبة الشىء الكثير .

وانتقلت العائلة بعد مولده بقليل إلى بلدة « مارنو » ثم إلى « أربوا » .. حيث لا يزال منزله القديم قائماً على حاله ، وقد تحول إلى متحف صغير .

بدأ باستير الطفل دراسته فى المدرسة الابتدائية ببلدة « أربوا » ، ثم تابعها منتسباً ، بسبب ضيق الموارد ، بكلية « أربوا » .. ولم تظهر عليه ملامح النبوغ فى سنوات دراسته الأولى ، بل إن أحد أساتذته قد وصفه بأنه تلميذ عادى فى الكيمياء أو دون ذلك .

ولكن كان ميله كبيراً للرسم .. ولا تزال بعض لوحاته التى رسمها قبل بلوغه السادسة عشرة ، لوالده ولوالدته ، وبعض أصدقائه ، باقية تدل على دقة كبيرة وقوة ملاحظة .

وقد نصح مدير كلية أربوا أباه أن يُلحقه بكلية المعلمين فى باريس ، فوافق الأب الذى كان يطمح يوماً أن يرى ابنه مدرساً بالكلية .

ذهب باستير إلى باريس عام ١٨٣٨ ، ولكن نظراً لضيق ذات يده ، لم يتمكن من البقاء طويلاً هناك ، فعاد إلى بلدته ليكمل دراسته بها ، ولمس فى نفسه شغفه بالعلوم ، فانتقل إلى بلدة « بيزانسون » ليدرس فى كليتها ، وفيها تخرج عام ١٨٤١ ، وكان لا يزال يحلم بدخول كلية المعلمين فى باريس ، وفى العام التالى تقدم إليها وكان ترتيبه الرابع عشر من بين اثنين وعشرين من المتقدمين ، ولكنه لم يرضَ عن ذلك ، فتقدم مرة أخرى فى السنة التالية ، فكان ترتيبه الرابع والتحق بالكلية . وقد كان للسنة الأولى من الدراسة تأثير كبير على نفس باستير ، وزاد من هذا التأثير صلاته المباشرة بكثير من العلماء الكبار فى السوربون وكلية المعلمين ، وخاصة أستاذه الكيميائى الكبير « دوماس » .. وقد استخدم باستير الميكروسكوب لأول مرة عندما أعطاه أستاذه « أوجست لوران » ملّحاً على صورة بللورات ليفحصه .. وقد اعتبر هذا اليوم حدثاً فى حياته ، فقد صار هذا الجهاز فيما بعد أداته الرئيسية فى اكتشافاته المختلفة .

وفى عام ١٨٤٧ ، تخرج فى كلية المعلمين بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى العلوم ، وكانت رسالته عن « دراسات فى الظواهر الخاصة بالاستقطاب الضوئى فى السوائل » .

وفى العام التالى مباشرة اكتشف ظاهرة عدم التماثل الجزيئى فى بعض أملاح أحد الأحماض ، مما رفع من قدره كثيراً ، وجلب له كرسى الأستاذية فى

كلية « ديجون » .. غير أنه لم يسعد بهذا التعيين ، فقد قطع عليه سلسلة بحوثه الكيميائية فى علم البللورات .

وفى عام ١٨٤٩ ، عُين أستاذاً بكلية العلوم بجامعة « ستراسبورج » ، وتزوج من « مارى لوران » ، ابنة مدير الجامعة ، والتى قامت على خدمته خير قيام ، وأعانته فى بحوثه إذ عملت له مساعدة معمل وسكرتيرة .

لبث باستير فى تلك الجامعة حتى عام ١٨٥٤ ، ثم بدأت مرحلة هامة فى تاريخ حياته وتاريخ العلم عامة ، وذلك عند تعيينه أستاذاً وعميداً لكلية العلوم فى جامعة « ليل » فى المدة من ١٨٥٤-١٨٥٧ .. وفى هذه الفترة بدأ بحوثه على عملية التخمر ، وكيف تحدث ، واستخدم الميكروسكوب فى ذلك .

واهتدى إلى أن سبب التخمر يرجع إلى كائنات جرثومية صغيرة ، وأن هذه الكائنات هى المسئولة عن إفساد المشروبات المخمرة .. وبسرعة توصل إلى نتيجة أخرى هى أن هذه الكائنات من الممكن أن تؤدى إلى إيذاء الإنسان والحيوان .

ولم يكن باستير هو أول من لاحظ ذلك ، فقد سبقه كثيرون ، ولكنه هو أول من أثبت بالتجربة صحة نظريته ، وهذا وحده هو الذى أدى إلى إقناع كل العلماء فى عصره .

من أجل ذلك ابتكر طريقة « البسترة » – نسبة إليه – للقضاء على الجراثيم والميكروبات التى تصيب اللبن ، وبعض الأشربة الأخرى ، وذلك بتسخينها لدرجة حرارة معينة ثم تبريدها تبريداً مفاجئاً ، ويعتبر ذلك تعقيماً لها .

وقد لجأ إليه أستاذه القديم « دوماس » طالباً منه إنقاذ صناعة الحرير فى جنوب فرنسا من مرض يصيب دودة الحرير فيقضى عليها .. فانتقل باستير مع

أعوانه إلى مناطق الإصابة ، وتعلم من الفلاحين دورة حياة الدودة والأعراض التى تظهر على المريض منها .. وفحصها تحت الميكروسكوب .. فوجد أن هناك مستعمرات صغيرة من الميكروبات هى التى تسبب المرض .

وبعد ست سنوات ، قضاها باستير وثلاثة من أعوانه ، ومعهم دائماً مدام باستير ، أمكن القضاء على مرض دودة الحرير ، وأمكن إنقاذ صناعته التى تقدر بملايين الفرنكات .

لقد أدت أبحاث واكتشافات باستير عن الجراثيم والميكروبات ، والأمراض التى تسببها إلى ذيوع شهرته فى فرنسا والعالم كله ، واعتمد عليها الجراح الاسكتلندى الشهير « چوزيف ليستر » ، وطبقها فى عمليات التعقيم التى أجراها لمرضاه ، وأنقذت منهم كثيرين .

كما نجح باستير أيضاً فى القضاء على مرض كوليرا الدجاج ، وعلى مرض الجمرة الخبيثة التى تصيب الماشية .. لقد أمكن تحضير أمصال من ميكروب هذا المرض وغيره ، وحقنها فى الحيوانات المريضة ، فتشفيه بعد فترة .

ثم ركز باستير أبحاثه بعد ذلك على مرض الكلب ، ذلك المرض الخطير الذى يعوى المريض به كالكلاب ! ، ويصاب بعطش شديد لا يطفئه الماء ، فالماء يخنقه ويحبس أنفاسه ، ثم يتطور المرض حتى ينتهى بالموت .. وكانت وسيلة العلاج السائدة هى كى مكان العضة بالحديد المحمى ، وإن لم تؤد إلى نتيجة فى أغلب الحالات .

وبعد أبحاث متعددة ، وتجارب فاشلة وأخرى ناجحة ، توصل باستير إلى تحضير لقاح ضد هذا المرض اللعين .

وفى السادس من يوليه عام ١٨٨٥ ، بدأ علاج أول آدمى من عضة كلب

مسعور .. وبعد أربع عشرة حقنة ، أعطاها له باستير ، عاد الصبى « چوزيف مايستر » ، إلى بلدته ولم تظهر عليه أية أعراض للمرض بعد ذلك .

وقد وفد إليه أعداد غفيرة ممن أصابتهم الكلاب والذئاب المسعورة ، من جميع أرجاء فرنسا ومن خارجها ، لكى يعالجهم .

وقد جاءه يوماً تسعة عشر فلاحاً من مدينة « مولنسك » الروسية ، عضهم ذئب مسعور ، ومضت على إصابتهم ما يقرب من ثلاثة أسابيع – جاءوا إلى باريس يطلبون النجاة على يد باستير .. وكان خمسة منهم فى حالة سيئة جداً .

وقام باستير بحقنهم بأمصاله التى أعدها .. واقتصاداً للوقت ، كان يحقنهم صباحاً ومساءًا ، وانتظر العالم ليسمع نتائج هذه التجربة ، وكانت النتيجة نصراً هائلاً لنظريات باستير ، فقد نجا ستة عشر مصاباً ، ومات ثلاثة كان من الواضح أن « الميكروب » قد سبق إلى جهازهم العصبى ، فلا حيلة للأمصال فيها .. وعاد الفلاحون إلى بلادهم والعالم كله يهلل لباستير .. وبعث قيصر روسيا له وساماً إضافة إلى الأوسمة الكثيرة التى ازدحم بها صدره .. كما أرسل إليه هبة من المال لبناء معامل جديدة ، وبعدها انهالت الهبات الأخرى التى رصدت لإنشاء « معهد باستير » فى باريس ، والذى افتتح فى نوفمبر عام ١٨٨٨ .

وبمناسبة بلوغه عامه السبعين ، أقامت له فرنسا حفلاً كبيراً ، واجتمعت الوفود من جميع أنحاء العالم فى مدرج السوربون الكبير ، فى ديسمبر عام ١٨٩٢ ، ودخل باستير وهو يعرج قليلاً ، من أثر شلل قديم قد أصابه ، وهو مستند على ذراع رئيس الجمهورية ، والقوم كلهم وقوف يحيونه .. واندفع إليه « چوزيف ليستر » ، يعانقه ، ثم يقول فى وصفه إنه : « رجل آمن إيماناً راسخاً أن العلم والسلم سوف ينتصران على الجهل والحرب ، وأن الناس سوف تجتمع على البناء ، لا التخريب .

وبعد ثلاث سنوات من هذا التكريم ، وفى ٢٨ سبتمبر عام ١٨٩٥ ، توفى باستير ودُفن فى مقبرة أعدت له فى معهده .

وكان يقول : « **العلم لا وطن له .. ولكن العالم له وطن** » .

و « **إن أمة لا تملك المؤسسات العلمية القوية لابد وأن يصيبها الانحلال** » .

و « **إن المعمل هو محراب المستقبل ، ومصدر الرخاء والهناء والعظمة للإنسانية** » .



زكى مبارك

(١٨٩٢-١٩٥٢)

الدكاتــرة

– حصــل على ثلاث رسائل دكـتوراه .. اثنتـان من جامـعة القـاهرة ، وواحـدة من السـوربون .. فـعُرف بين الناس بـ« الدكـاترة » .. فكان فى هذا عزاؤه وهناءته فى الدنيا ، وبه ازدهى وافتخر .. وحصل من الدرجات العلمية على أعلاهـا وأرقاهـا ، وفاق بدرجاته أقرانه وأصحابه ، فأصبح هدفاً لحقد الحاقدين ، وحسد الحاسدين ، وقد أضرته درجاته العلمية أكثر مما نفعته .

ولد الدكتـور والأديب والناقد زكى مبارك فى قرية سنتريس بمحافظة المنوفية ، وقضى طفولته وصدر شبابه بين « الكتّاب والغيط والسامر » على حد تعبيره .. وفى السابعة عشرة من عمره حفظ القرآن الكريم وجوّده ، ثم انتقل من سنتريس إلى القاهرة ليتعلم فى الأزهر .. وقد تكامل له من النضج الفكرى ما جعله يبدأ دراسته الأزهرية ناجحاً موفقاً متميزاً ، واختصه أستاذه « سيد المرصفى » برعاية خاصة لما لمسه فيه من نبوغ وامتياز وإقبال على الدراسة والمعرفة .

تابع دراسته بنجاح وتفوق ، حتى قامت ثورة ١٩١٩ ، فكان واحداً من خطبائها الثائرين ، وظلت السلطات العسكرية البريطانية تبحث عنه لاعتقاله وهو مختبئ لدى صديق له ثلاثة أشهر ، ثم اعتقل فى ثكنات قصر النيل بالقاهرة ،

ثم رحل مع غيره إلى معتقل سلطات الاحتلال فى شاطىء « سيدى بشر » بالإسكندرية ، وقضى فى الاعتقال تسعة أشهر .

كان يردد فى خطبه وكتاباته فى الصحف أن هناك عدواً آخر مازال من قبل يبطش بالأمة المصرية غير وانٍ ولا راحم ، ألا وهو الجهل ، وجعل من رسالته نشر الثقافة والوعى والدعوة للتربية والتعليم .

وقد حفزته موهبته الأدبية العميقة فى نفسه ، وذاكرته القوية الحافظة ، واهتمام الشيخ سيد المرصفى به - على ألا يدخر وسعاً فى دراسة الفرنسية ، فى نهم وإقبال ، حتى تمكن منها وتفوق فيها .. وكانت كل تلك العوامل هى التى دفعته إلى الالتحاق بالجامعة المصرية ، فتم له ذلك عام ١٩١٧ .

دخل الجامعة وهو مزود بطاقات أدبية من الثقافة الأزهرية ، وحافظاً لأشعار كثيرة تزيد على ثلاثين ألف بيت من الشعر العربى ! ، كما حفظ فيما بعد دواوين برمتها من الشعر الفرنسى ، وكذلك ساعدته حافظته النادرة على حفظ بعض الكتب الأدبية الفرنسية .

وحصل على ليسانس الفلسفة عام ١٩٢١ .

وظل يدأب على الدرس والتحصيل حتى كانت سنة ١٩٢٤ حين تقدم برسالته للحصول على الدكتوراه ، وكان موضوعها « الأخلاق عند الغزالى » ، وكان فى التحاقه بالجامعة يترسم خطى الدكتور طه حسين ، الذى تتلمذ على يديه .

اتصل بالصحافة قبل اتصاله بالجامعة ، وكان يكتب بتوقيع « الفتى الأزهرى » ، وألَّف لجنة لإصلاح الأزهر ، وكتب رسائل مختلفة فى نقده .. كان ذلك منذ عام ١٩١٤ .. وفى عام ١٩٢١ رأس تحرير جريدة « الأفكار » ،

صحيفة الحزب الوطنى وقتئذ ، كما دعاه عبد القادر حمزة للاشتراك فى تحرير جريدة « البلاغ » عند ظهورها عام ١٩٢٣ ، لما لمسه فى كتاباته من قدرة وتفوق وامتياز . كما كتب كذلك فى جريدة « الوادى » ، واشترك فى تحرير مجلة « الرسالة » التى كان يصدرها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات .

بعد حصوله على الدكتوراه من الجامعة المصرية فى ١٥ مايو ١٩٢٤ بدرجة « جيد جداً » اتجه بوعيه وطموحه إلى استكمال دراسته فى الخارج .. فسافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة ، وقضى خمس سنوات فى جامعة السوربون ، وظفر بالدكتوراه ، للمرة الثانية ، وكانت فى « النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى » فى ٢٥ أبريل عام ١٩٣١ .

عاد من باريس فعمل مفتشاً بوزارة التربية والتعليم ، كما رأس القسم العربى فى الجامعة الأمريكية ، واشتغل بالصحافة ، وانتدبته الجامعة المصرية لإلقاء محاضرات فيها .

ثم أخذ يعد العدة للحصول على دكتوراه ثالثة من الجامعة المصرية ، وبالفعل حصل عليها فى ١٤ أبريل عام ١٩٣٧ ، وكان موضوعها « التصوف الإسلامى » .

وهكذا أطلق على نفسه وأطلقت عليه الصحافة لقب « الدكاترة زكى مبارك » ! .

فى خلال هذه المرحلة – ومنذ أن كان فى السوربون – لم يترك أستاذاً كبيراً ولا أديباً بارزاً دون أن يطاوله ، اختلف مع مسيو « مرسيه » رأس المستشرقين الفرنسيين وأصر على تحديه .. وطاول الدكتور طه حسين ، وخاصة فى معركة أدبية ضخمة ، كما خاصم قادة الأدب ورواده أمثال أحمد أمين

والعقاد ، والسباعى بيومى ، وأحمد شوقى ، ولطفى جمعة ، وسلامة موسى .. وأجمعت الصحف على تلقيبه بـ « الملاكم الأدبى » ! ، ولم يترك أيضاً أحمد حسن الزيات ، ولطفى السيد ، دون خصام أدبى .

ولكنهم أيضاً أجمعوا على أنه أديب كبير أقام مجده الأدبى على جهاد مرير ، وأنه لم يبلغ مكانته هذه على الظروف والحظ .. كما أجمع النقاد على أن معاركه الأدبية التى أثارها مع كل هؤلاء ، ومع وزراء المعارف أمثال السنهورى والقبّانى والنقراشى ، أفاد منها الأدب العربى إفادة طيبة ، وطرحت على الناس أبحاثاً قيمة خالدة ، وكانت فرصة ذهبية للجدل الأصيل حول المذاهب الأدبية الكثيرة .

ولكن النقد والخلاف عندما اشتد بينه وبين طه حسين - أستاذه - انتهى بأن خرج زكى مبارك من الجامعة ، من كلية الآداب ، وكان مدرساً بها .

وفى عام ١٩٣٧ ، سافر إلى العراق ليشغل منصب أستاذ فى دار المعلمين العليا فى بغداد ، وهناك أسدى إلى الأدب العربى نفائس خالدة فى مجال التأليف والصحافة وإذاعة بغداد ، حيث أذاع فى ندوات جامعة أقبل عليها الطلاب والأدباء ، وراسل الصحافة فى مصر ولبنان فضلاً عن صحافة بغداد ، ولكنه راح يجدد الخصومات الأدبية فى العراق ويدخل فى نطاق أدبى عنيف ، ولم يستثن الجهات الرسمية العراقية من معاركه ! .. ومع ذلك ظفر منهم جميعاً رسميين وغير رسميين بالحب والتقدير والاحترام ، وبادلهم الود وراح يتحدث به ويسجله فى ملامحه الأدبية الكثيرة .

وقد طالب العراقيين بوجوب إنشاء جامعة تطاول الجامعة المصرية ، وراح يستحثهم فى سبيل ذلك ولو بصوم يوم ويتبرعون بثمن غذائه لإنشاء الجامعة .

واشتد شغفه بالعراق وأهله إلى حد جعله يطيل مدة إقامته هناك ، وجعله يكتب رسائله القيمة فى الصحف المصرية وغيرها عن « ليلى المريضة بالعراق » و« رسائل مجنون سعاد » . وغير ذلك .

عاد من بغداد ليعمل مفتشاً بوزارة المعارف ، واختُص بالتفتيش على المدارس الأجنبية ، ولكن خصوماته الأدبية كذلك ، ثم خصوماته مع وزير المعارف ، ونقده خطاب العرش فى مجلة الرسالة – كل ذلك أخرجه من الوزارة حوالى عام ١٩٤٦ ، كما فُصل من المعهد العالى لفن التمثيل حيث يعمل أستاذاً للأدب العربى .

ولكن الوزير « على أيوب » أعاده للعمل فى دار الكتب ، ثم رده طه حسين عام ١٩٥٠ للتفتيش فى وزارة المعارف ، ولكن فى الدرجة الثالثة التى كان يشغلها عام ١٩٣٧ !! .

ظل يؤلف الكتب ، ويكتب فى الصحف .. واقترب من الستين وهو ما زال فى الدرجة الثالثة ومرتبه بين الأربعين والخمسين جنيهاً ، وهو ذو أسرة وصاحب مكانة ، ويقتضيه كل ذلك مالاً كثيراً حُرِم منه ، فى حين واتى غيره بفضل النفاق أو الحزبية أو الاتصال بكبير أو ولى أمر .

وفوق ذلك كله ، أبى عليه المجتمع أن يعطيه حقه فى الصدارة والتكريم ، وأن يتبوأ مكانة أدبية تليق بدرجاته العلمية وكفاحه الأدبى والدراسى .

وتوفى زكى مبارك يوم ٢٣ يناير عام ١٩٥٢ ، إثر سقوطه على الأرض مغشياً عليه وهو يسير فى شارع عماد الدين بوسط القاهرة .. وبرغم العملية الجراحية التى أُجريت له فقد لفظ أنفاسه بعدها بساعات .

توفى بعد أن خلف من ورائه تراثاً أدبياً خالداً كان كفيلاً بتنصيبه إماماً ورائداً ممن فازوا بذلك ، بل ربما تفوق عليهم وامتاز فيهم ، واستحق عن يقين أن يلقب فى زمانه بـ « العملاق المغوار » .

لقد عاش طيلة حياته يخدم الأدب ، ويؤلف الكتب ، وينظم الشعر ، ثم فارق الحياة لا يملك من متاع الدنيا إلا الذكر الحسن .. والذكر للإنسان عُمر ثان .

وقد ألَّف زكى مبارك غير رسائل الدكتوراه الثلاث ، أربعين كتاباً – منها : « **ليلى المريضة فى العراق** » .. وهو كتاب يروى قصة غرام زكى مبارك فى العراق بأسلوب حوارى طريف ، وعبارة قصصية مشوقة .. وقد أثار ضجة أدبية كبرى فى الأوساط العربية .

وقد قال الشاعر على الجارم عن هذا الكتاب : « لقد ابتكر زكى مبارك فناً جديداً حين نقل الغَزَل والتشبيب من الشعر إلى النثر » .

أما زكى مبارك نفسه فقد كتب فى صدر كتابه ذاك : « لو شرب الصخر من رحيق الوجود بعض ما شربت لتحول إلى أوتار وقلوب ... فكيف أصمت والدنيا كلها تتأرجح من حولى بأنفاس الأزهار والرياض ، إلى قلب يتشوَّف إلى أفنان الجمال ، تشوُّف الشمس إلى نداء الصباح ؟ ! » .

وله أيضاً كتاب « **ذكريات باريس** » ، وفيه يروى ذكرياته فى عاصمة فرنسا ، وفى الحى اللاتينى ، وهو حى الشباب فى باريس .

وكتاب « **الموازنة بين الشعراء** » ، ويبحث فيه أصول النقد وأسرار البيان ، ويعرض آراءً دينية لها قيمتها وخطرها ، كما يدل على اطلاع واسع على مناهج القدماء فى النقد ، وبعض القضايا الأدبية الضرورية لعمل الناقد .

وكتـاب « **حب عمـر بن أبى ربيـعة** » ، ويعرض فيـه لشـخصـية هذا الشـاعر الغزلى الكبير ، وشـعره الذى لم يقله إلا فى الغزل فقط ، ويناقش مدى صدقه فى هذا الشعر .

وكتاب « **مدامع العشاق** » . وهو من أبدع ما كتب ، وتنقل فيه بين أخبار المحبين ، وأشعار المتدلهين .

وكتاب « **زهـر الآداب وثمر الألبــاب** » ، لأديب العربيـة الحصـرى القيروانى (توفى عام ٤٥٣هـ) ، وهو يجمع كثيراً من الطرائف الأدبية والأخبار الاجتماعية الطريفة والأشعار العذبة الجميلة .

وبجانب كتاباته ومقالاته الصحفية .. كان شاعراً أيضاً .. فقد نظم ديواناً شعرياً أطلق عليه اسم « ألحان الخلود » .. وهو يشهد على رقة حسِّه ، ويجمع بين قصص حب عمر بن أبى ربيعـة وجرأته ، وفن الشـريف الرضـى ، وعِشق العباس بن الأحنف ، وحكمة المتنبى وأبى تمام ، وشاعرية البحترى .. وقد أظهر فيه تباريح الهوى ولواعج الأحزان .

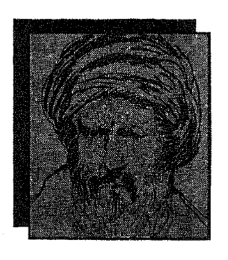
ومن شعره :

رَبَّاه .. صُغْتَ فُؤَادِى ... مِنَ الْأسَى وَالْحَنِينْ

وَلَمْ تَشَأْ لِضُلُوعِى ... غَيْرَ الْجَوَى وَالشُّجُونْ

فَكَيْفَ تَصْفُو حَيَاتِى ... مِنَ الْهَوَى وَالْفُتُونْ

أَمْ كَيْفَ تُرْجَى نَجَاتِى ... مِنَ سَاجِيَات الْجُفُونْ



ابن خلدون

(١٣٣٢-١٤٠٦)

رائد علم الاجتماع

– قال عنه أرنولد توينبى ، شيخ المؤرخين فى القرن العشرين :

« إن ابن خلدون قد أنتج أعظم كتاب من نوعه أبدعه إنسان فى كل زمان ومكان » .

وابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد – من الشخصيات الإسلامية الفذة فى العصور الوسيطة .. فقد كان رحَّالة وقاضياً وفيلسوفاً وأديباً ومؤرخاً ومدرساً .. كما قال الشعر أيضاً .

وهو وإن كان مغربى النشأة ، والثقافة ، فإنه يعتبر قسمة بين المشرق والمغرب ، حيث إنه قد قضى ٢٤ سنة من حياته بتونس و ٢٦ سنة فى المغرب الأوسط والأقصى وإسبانيا (الأندلس) و ٢٤ سنة فى مصر والشام والحجاز .. وكان نصيب إقامته فى مصر كبير منها .

ولد فى غرة رمضان من عام ٧٣٢هـ والذى يوافق ٢٧ مايو من عام ١٣٣٢م ، بتونس ، فى إحدى الدور بشارع « تربة الباى » ، وقد بنيت مدرسة « الإدارة العُليا » مكان البيت الذى نشأ فيه ، ولكن المسجد الذى تلقى أول علومه به ، وهو مسجد « القبَّة » ، مازال موجوداً حتى الآن .

يرجع نسب أسرته إلى « وائل بن حجر » الذى كان من كبار الصحابة ، والذى تولى مهمة تعليم القرآن فى اليمن ، ونشر الإسلام هناك .. فأسرة ابن خلدون إذاً حضرمية الأصل ، نسبة إلى « حضرموت » اليمنية .

ثم إنه كان لوائل بن حجر هذا أحد الأحفاد يُدعى « خالد بن عثمان » ، والذى رحل إلى الأندلس مع جند اليمن ، وذلك بعد الفتح العربى لها ، وعُرف هناك باسم « خلدون » .. وقد تقلدت أسرة خلدون أسمى المناصب والمراتب فى العلم والسياسة .. وقد نشأت الأسرة أولاً فى « قرمونة » بالأندلس ، ثم رحلوا إلى « إشبيلية » ، وأقاموا بها إلى أن غلب عليها ملك الجلالقة ، وحينئذ جلوا عنها مع من جلى ، وانتقلوا إلى « سبتة » بالمغرب ثم إلى تونس ، واستوطنوا بها .

ونشأ ابن خلدون فى كنف هذه الأسرة العريقة فى السياسة والعلم ، مما حبَّب إليه منذ الصغر حب الجاه والمنصب من ناحية ، وحب الدرس والعلم من ناحية أخرى .

وقد كان والده – محمد – هو المعلم الأول له .. إذ أنه آثر العلم على السيف والخدمة ، وكان رجلاً مطلعاً ومتفقهاً ، وله بصر بالعلم وأهله ، وبالشعر وفنه .

ومن ثم عَنَى بولده – ابن خلدون – فقام بتعليمه ، حيث حفظ القرآن الكريم ، وتعلم القراءات ، ونبغ فى الفقه المالكى ، وحفظ الشعر العربى ، وأفاده ذلك فى أدبه وكتاباته .

وقد توفى والداه معاً ، وهو فى السابعة عشرة من عمره خلال الطاعون الذى اجتاح تونس آنذاك .. ولم يبق من أسرته إلا أخوه الأكبر فقط ، وأخ آخر أصغر منه .. مما شجعه على التنقل والترحال ، حسبما أراد .

لقد كانت لأسرته فى إشبيلية وتونس مكانة .. فقويت أطماعه فى إعادة مجد الأسرة ، وكانت بلاد المغرب العربى تشتعل بالفتن ، فخاض ميادينها ، ليحقق ما يصبو إليه .

وكما كان رجل فكر وثقافة ، كان كذلك رجل سياسة .. فقد تقلد أسمى المناصب من وزارة وسفارة وحجابة ، كما أنه لقى بسببها أسوأ العواقب ، فدخل السجن ، وحُبس أكثر من مرة ! .

وكانت شخصيته تجتذب أنظار السلاطين والرؤساء ، ومنهم سلطان تونس ، الذى أُعجب به ، فعينه فى منصب « كاتب العلامة » ، ولم يكن قد جاوز الثامنة عشرة من عمره ، كما جذب أنظار السلطان أبى عنان المرينى ، فعينه عضواً بمجلسه ، وكلفه بشهود الصلوات معه وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، وعينه أيضاً السلطان أبو سالم المرينى فى منصب « كاتب السر والإنشاء » ، ثم قلده خطة المظالم .

وعندما ذهب ابن خلدون إلى غرناطة ، أرسله السلطان محمد بن الأحمر سفيراً إلى أمير قشتالة ، للتوسط فى إبرام الصلح بينهما .

وبعدما عاد إلى المغرب ، ونزل على أمير بلدة « بجاية » ، قلده الحجابة ، وهى أعلى منصب فى الدولة ، حيث كان يسوس من خلاله أمر المملكة .. وكان بالرغم من ذلك يقوم بالتدريس بعد القيام بالحجابة أول النهار .

ولأمر ما ، أمر السلطان أبى عنان ، سلطان المغرب ، بسجن ابن خلدون ثلاث سنوات ! .. ثم أطلق سراحه .

وظل يعيش فى فتن واضطرابات بين بلاد الأندلس وبلاد المغرب ، حتى مل ذلك ، فنزح إلى مصر ، وكان ذلك فى عهد الظاهر بيبرس .

وقد تولى التدريس فى الأزهر ، وعين أستاذاً لفقه المالكية ، فانصرف إلى العلم والتأليف .. وبعد عامين تولى منصب قاضى القضاة على المذهب المالكى .. وحيكت الدسائس ضده حتى أفسدت بينه وبين أولى الأمر ، فأُقيل من منصبه .. ثم استأذن السلطان فى الحج فأذن له .. وبعد عودته تولى قضاء المالكية مرة أخرى .. ثم أُقيل منه .. ثم تولاّه .. وهكذا ظل يتقلد هذا المنصب عدة مرات ، إلى أن توفى بعد توليه المرة السادسة بأيام .

وكان ابن خلدون فى مصر مقرباً من السلطان الناصر فرج ، حيث اصطحبه معه إلى دمشق ، حين توجه لملاقاة « تيمورلنك » الطاغية المغولى .. الذى أُعجب بابن خلدون وأكرم وفادته ، وقربه منه ، مع أن هذا ليس من عادته فى استقبال الناس ، فقد كان خشناً فظاً ، محباً لسفك الدماء .. وقد كلّفه أيضاً بكتابة كتاب عن بلاد المغرب .

وهكذا ، لم يكن ابن خلدون يجتذب فقط أنظار أمراء وسلاطين المسلمين ، بل وأنظار الملوك والغزاة والمعتدين أيضاً .. بل ويألفونه ويعرضون عليه الإقامة معهم فى بلاطهم .. مثل أمير قشتالة فى الأندلس الذى عرض أن يرد إليه جميع أملاك أسلافه إن هو رضى بالإقامة عنده ! .

وقد تزوج ابن خلدون ، وأنجب عدة أولاد ، وكان لا يصطحب معه أسرته فى أسفاره ورحلاته إلا بعد ما يستقر فى البلد الذى ارتحل إليه .. وعندما جاء إلى مصر واستقر بها ، دعا أهله للإقامة معه ، ولكن السفينة التى كانت تقلهم قد غرقت بهم وبأمتعتهم قبل الوصول للإسكندرية !

لقد اهتم الباحثون ، قدامى ومحدثون ، بجانبين هامين من جوانب شخصية ابن خلدون ، الأول : الجانب السياسى ، وقد سبقت الإشارة إليه ..

والثانى : الجانب الفكرى والثقافى .. ويتمثل فى تحصيله للعلم ثم عطائه فيه ، فقد حفظ القرآن ودرس علومه وتعلم القراءات ، كما درس الحديث والفقه والأصول واللغة والأدب والتاريخ ، ونبغ فى الفقه المالكى ، وحفظ من الشعر العربى ما انتفع به أدبه .. وأضاف إلى دراسة ذلك كله دراسة المنطق والفلسفة ، وقد كان بعض علماء زمانه لا يحفل بدراسة هذين العلمين الأخيرين .. وقد جلس للتدريس فى أكثر البلدان التى حلَّ بها .. وكانت المساجد الكبرى والمدارس الشهيرة من مقار حلقات دروسه دون سواها .. وكان له تلامذة من صفوة الدارسين ، صاروا علماء فيما بعد ، كالمقريزى وابن حجر العسقلانى .

وأهم الأماكن التى جلس ابن خلدون فيها هى : جامع القصبة ببجاية (المغرب) ، وجامع القرويين بفاس (المغرب) ، والجامع الأزهر ، والمدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط ، والمدرسة الظاهرية البرقوقية فى حى بين القصرين بالقاهرة .

ومن أشهر مؤلفات ابن خلدون على الإطلاق : « كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخَبَر فى أيام العرب والعجم والبَربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » .ومقدمة هذا الكتاب الضخم هى مقدمة ابن خلدون الشهيرة ، والتى مدحها توينبى كما أشرنا فى بداية الترجمة .

وقد كتب ابن خلدون كتابه ومقدمته وهو فى الخامسة والأربعين من عمره ، فى أربع سنوات ، اعتزل خلالها الناس ، وآوى إلى أحد قصور بنى عريف فى قلعة ابن سلامة (غير بعيد من مدينة قسنطينة الجزائرية) ، وتفرغ خلال تلك السنوات الأربع للقراءة والتأليف فقط .. وكان ذلك قبل مجيئه مصر .

وفى هذه المقدمة أرسى ابن خلدون قواعد علم التاريخ وعلم الاجتماع ، الذى كان يسميه « علم العمران البشرى » ، ويكون بذلك قد سبق أوجست كونت ، الفيلسوف الفرنسى ، فى هذا المجال .

وتنبىء المقدمة عن أن ابن خلدون كان موسوعى المعرفة ، متعدد الثقافات ، عالم وأديب ومؤرخ وفيلسوف ورحّالة كذلك .

وفيها يتحدث عن فضل علم التاريخ ، ومذاهبه ، وأخطاء وأوهام المؤرخين .. وأقاليم الأرض وتأثيرها فى سكانها .. والحضر والبدو .. والرئاسة والملك والعصبية .. وأعمار الدول .. والإمامة والخلافة والبيعة .. والحروب وأساليبها .. وبداية تكُّون الدولة ونموها وزوالها .. وسياسة العمران البشرى .. وأنواع الصناعات والتجارة والاحتكار .. وعلوم القرآن والحديث والفقه والكلام والتصوف وتعبير الرؤيا والجبر والهندسة والهيئة (الفلك) والمنطق والطب والفلاحة والسحر والكيمياء والفلسفة والنحو واللغة والشعر والموشحات .

إن ابن خلدون لم يدخل التاريخ الإسلامى والإنسانى كمعلم أو قاضى أو مؤرخ ، ولكنه دخله كواحد من كبار المفكرين الإسلاميين الإنسانيين .





رمسيس الثانى

(توفى عام ١٢٣٢ق.م)

أشهر الفراعنة

- لرمسيس الثانى تمثال رائع منحوت من الرخام ، وهو معروض فى متحف مدينة تورينو الإيطالية .. ويُعتقد أنه جُلب من مدينة الكرنك المصرية ، حيث أتم رمسيس بناء معبده الضخم .

وقد نَهَجَ نَهْج الفراعنة السابقين ، فشيد عدداً كبيراً ورائعاً من المبانى ، منها المعابد والمقابر والتماثيل التى تضارع ما أنجزه سلفه .

وتحمل مبانى رمسيس نقوشاً منحوتة تحكى قصصاً عن مقدرته العسكرية وحياته الخاصة ، وهذه النقوش وغيرها مما دوِّن على أوراق البردى ، هى التى مكنت علماء الآثار من الوقوف على الكثير من تاريخ هذا الرجل وحكمه الطويل .

وكان رمسيس الثانى الابن المفضَّل لأبيه « سيتى الأول » فرعون مصر .. وعندما بلغ العاشرة من عمره ، عينه أبوه قائداً لسلاح المركبات والمُشاة فى الجيش .. ولا نستطيع أن نعلم ما الذى كان بإمكان مثل هذا القائد الصغير أن يفعله ، ولكن المعروف أنه اكتسب قدراً كبيراً من الخبرة الحربية .

ولم يمضِ وقت طويل على وفاة سيتى الأول فى عام ١٢٩١ قبل الميلاد ، حتى خرج رمسيس لطرد الحيثيين من الأراضى المجاورة لمصر .

كان الجيش الذى خرج به رمسيس إلى سوريا ، مكوناً من أربع فرق ، وكل فرقة تحمل اسم أحد الآلهة المصريين فى معتقداتهم : آمون ، رَع ، بتاح ، ستِ .. وكان عدد أفراد الجيش نحو ١٢٠ ألف جندى .. وكان من الصعب العثور على جيش الحيثيين ، فتفرقت الفرق الأربع .. وكانت فرقة آمون التى يقودها رمسيس بنفسه قد لقيت رجلين من البدو ، أخبراه بأنه لا أثر للحيثيين فى تلك المنطقة .

فأسرع رمسيس متجهاً بفرقته نحو مشارف مدينة قادش ، وهو لا يعلم أن هذين البدويين لم يكونا سوى جزء من خطة ماكرة وضعها قائد الحيثيين « مواتاليس » ، وأن جيوش العدو كانت مختبئة فى الجانب الآخر من المدينة .

وعندما اقتربت الفرقة الثانية من الجيش فرقة رَع ، من قادش ، هاجمها الحيثيون فجأة ، فلجأت إلى فرقة آمون ، التى لم تكن قد أتمت استعدادها ، وكان فى أعقاب فرقة رع ٢٥٠٠ مركبة حيثية .

وفى تلك اللحظة الحرجة جمع رمسيس حرسه الخاص .. وقام بشن ست هجمات متتالية على أضعف نقطة فى خطوط الأعداء .. وتمكن بذلك من رد عدد كبير من الحيثيين .. ووصلت كذلك فرقة بتاح أيضاً ، فبادر الحيثيون إلى الانسحاب داخل مدينة قادش .

وعاد رمسيس إلى مصر .. ولم يستأنف القتال إلا بعد مضى عدة سنوات ، توفى خلالها « مواتاليس » ، وتولى مكانه ملك جديد هو « خاتوسيليس » ، ولكنه كان أقل كفاءة من سلفه ، فلم يمض وقت طويل حتى ضم المصريون إليهم مدينة قادش .

وقد شعر رمسيس وملك الحيثيين بأن استمرار القتال يضر بالفريقين ، فعقدا معاهدة سلام فى العام الحادى والعشرين من حكم رمسيس .

وكانت هذه المعاهدة هى الأولى من نوعها فى العالم .. ومن حسن الحظ أن كلاً من النص المصرى والحيثى لها قد وصل إلينا .. من النقوش التى وجدت على جدران معبدى الكرنك والرمسيوم بالأقصر ، وفى مضيق كُوى بالأناضول .

وكانت تلك المعاهدة تتكون من ١٨ بندا وعليها أختام فضية ، وتقضى بتوقف القتال فى سوريا ، وأن يحترم كل من الطرفين حدود أراضى الطرف الآخر .. كما نصت كذلك على مبدأ الدفاع المشترك ضد أى عدوان على إحدى الدولتين من الخارج .. وفيها إلزام بتبادل المساعدات إذا حدثت اضطرابات داخلية فى أىٍّ منهما .

ومن نصوص الاتفاقية أيضاً تسليم اللاجئين السياسيين ، ووضع قواعد خاصة بحسن معاملتهم عقب ترحيلهم إلى وطنهم ، وكذلك تسليم أسرى الحرب .

وبعد ثلاثة عشر عاماً من توقيع المعاهدة ، قام ملك الحيثيين بزيارة صديقه ، رمسيس الثانى ، ولكى يظهر إعجابه به ، أحضر معه كبرى بناته ، وقدمها هدية إليه .. ورداً على هذه الهدية ، منح رمسيس الفتاة لقب « زوجة الملك العظيمة » .

ويفوق عدد المبانى التى شيدها رمسيس الثانى ، خلال مدة حكمه الطويلة ، ما أقامه أى فرعون آخر .. وكان أول الأعمال إتمام المعبد الذى بدأه والده فى « أبيدوس » .

وفى الكرنك أتم المعبد الضخم الذى كان جده قد بدأ فى إقامته .. وفى غرب الأقصر « طيبة » أقام معبد « الرِمسيُوم » ، وهو معبد جنائزى ضخم يحمل اسمه .. أما المعبد الرائع الذى أمر ببنائه فى « أبو سمبل » فمنحوت بالصخر الأصم عند حدود النوبة .

وقد قامت هيئة اليونسكو بإنقاذ معبد أبى سُمبل ، ضمن ما أنقذته من آثار مصرية فى أواخر الستينيات من مياه السد العالى ، التى زحفت إليها .. فتم نقله إلى منطقة بعيدة مرتفعة ، قطعة قطعة ، وحجراً حجراً ، وكان حدثاً عالمياً .

ويذكر بعض المؤرخين أن رمسيس الثانى قد أقدم على انتحال أمجاد أسلافه ، وراح ينقش اسمه على كل ما وصلت إليه يده من مبانى آبائه وأجداده .. وقد غاب عن ذهنه أن من شأن تلك السياسة أن تنال من مكانته ، بدلاً من أن تزيد فى مجده .

ويُذكر عنه أيضاً أنه كان يتمتع بصفات الملوك قلبًا وقالبًا .. فقد كان فارع الطول وسيماً ويفيض مزاجه بالنبل ، إلاّ أنه كان فوق ذلك متهوراً ، إلى أبعد الحدود .

ولعل أبرز صفاته هو النشاط الذى لم يُضاهِهِ فيه أحد غيره ، والذى لولاه ، ولولا الشعبية التى حظى بها بلا نزاع ، لما أمكنه إنجاز الأعمال التى أنجزها .

وقد نقل العاصمة المصرية من طيبة (الأقصر) ، فقد لاحظ أنها تبعد كثيراً إلى الجنوب ، فشيد عاصمة جديدة لملكه ، وسماها « بر - رمسيس » ، فى الجزء الشرقى من دلتا النيل .. وهناك كان يجد نفسه أكثر قرباً من الطرق البرية المؤدية إلى سيناء ، وأقرب إلى موانىء السفن فى البحر المتوسط .

وبالرغم من نشاط رمسيس الدائم ، فإنه كان يجد الوقت الكافى للاهتمام بأسرته .. أسرته الكبيرة جداً .. فقد تزوج كثيراً ، وأنجب كثيراً .. وحفظت لنا الآثار أسماء سبع من زوجاته ، و ٣١ من بناته ، و ٧٩ من أبنائه !

وتعتبر فترة حكمه من أطول الفترات التى سجلها التاريخ ، وقد امتدت ٦٧ عاماً اعتباراً من عام ١٢٩٨ق.م .. ومات رمسيس الثانى عام ١٢٣٢ ق.م عن عمرٍ يناهز ٨٦ أو ٩٠ عاماً .

وقد زعم كثيرون أن رمسيس الثانى هذا هو فرعون موسى – عليه السلام – الذى ذكره القرآن الكريم ! . ولكن لم يثبت فى ذلك دليل قاطع على صحة هذا الزعم حتى الآن .

★ ★ ★

بيكاسو

(١٨٨١-١٩٧٣)

الفنان المتمرد



- ليس كبيكاسو فنان اختلف الناس حوله .

وليس كبيكاسو فنان لقى هذا التكريم فى حياته مثلما لقى .

وإذا كانت هناك حياة تستحق أن تُسجَّل ، إنها حياة هذا الفنان الذى بدأ فقيراً ليكسب الملايين ومئات الملايين ، من فن لم تستسغه سوى القلة القليلة من الناس .. وهو « التكعيبية » الذى كان هو رائدها الأول ، والتى اعتبرها الكثيرون « تشويهاً » للفن التشكيلى ، ولفن التصوير على الأخص .

فى الخامس والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٨٨١ ، وفى مدينة مالقة الإسبانية ، ولد بابلو چوزيه رويز بلاسكو Pablo Jose Ruiz Plasco ، بيكاسو بعد ذلك ، من والد طويل القامة ، أحمر الشعر ، يُطلق عليه الناس لقب « الرجل الإنجليزى » ، ومن أم هى « ماريًا بيكاسو » ، ، سوداء العينين والشعر .. وعنها أخذ اسمه الذى عُرف به ، وسواد العينين والشعر ، وأضاف إليهما جسماً قوياً ، وجبهة عريضة ، وأنفاً ضخماً .. ويُروى أنه بعد ولادته كان ساكن الجسم لا يتحرك ، فنفخ عمه بدخان سيجارته فى وجهه ، فإذا بالحياة تدب فى الجسد الصغير .

وكان احتراف الرسم مطمح كل من جده لأبيه وأعمامه ، ولكن لم ينجح فى هذا سوى والده ، الذى أصبح مدرساً للرسم ، يحظى بتقدير لا بأس به .

ومنذ اليوم الذى استطاع فيه الطفل بابلو أن يمسك بقلم الرصاص بين أصابعه ، أخذ يرسم ، تحت إشراف والده وتوجيهه فكان طفلاً معجزة يذكرنا بالموسيقار موتسارت ، إذ كان يستطيع أن يرسم أى حيوان دون أن يرفع القلم عن الورق ، وهو مغمض العينين ، ولم يَعْدُ التاسعة من العمر ! . وتدل رسومه ، وهو فى الرابعة عشرة ، على أنه حذق كل ما يجب على الرسَّام المحترف أن يعرفه ، ولهذا فإن كل ما تعلمه بعد هذا السن ، إنما كان مصدره موهبته الفنية .

وفى سن الخامسة عشرة ، اشترك فى مسابقة من أجل الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة فى برشلونة ، التى كان يدرس فيها والده .. وكانت تعطى للطالب الراغب فى الالتحاق بهذه المدرسة مدة شهر ، يرسم فيها ما تكلفه المدرسة برسمه ، فإذا نجح ، قُبِل فيها .. وقد نجح بيكاسو بامتياز فى لوحته التى رسمها فى يومٍ واحدٍ فقط ! .

ويذكر بيكاسو أنه تقدم للالتحاق بهذه المدرسة ، لكن عائلته لم تكن تتصور أن أى امرئ يمكن أن يكون رساماً دون أن يكون حاملاً لشهادة من معهد للفنون .

وبعد أن أمضى عاماً فيها ، التحق بمدرسة أخرى للفنون فى مدريد ، لم يمكث فيها سوى مدة قصيرة .. وبين عامى ١٩٠٠ و ١٩٠٣ ، قام بثلاث زيارات لباريس .. استقر بعدها هناك ، فى حى مونمارتر ، بين الرسَّامين ، والمثَّالين ، والشعراء ، والعاملين فى السيرك وكثيرين ممن قست عليهم الحياة .. ولكن إسبانيا ، وبخاصة برشلونة ، بقيت تعيش فى دمه وأعصابه .

وعندما بلغ العشرين من العمر ، ترك اسم عائلة والده (رويز) ، وتسمى باسم عائلة والدته (بيكاسو) ! ، ولعل سبب ذلك تلك الفجوة التى قامت بينه بين والده ، الذى لم يرضَ عن لوحاته التى لم يفهمها ، وكان يريد له أن يكون رساماً على طريقة الرسامين الكلاسيكيين : رفائيل ودافنشى ومايكل أنجلو .

وفى باريس ، وفى حى مــونمارتر ، وبين عــامى ١٩٠٠ و ١٩٠٤ ، بدأ بيكاسو حياته الفنية بالمرحلة الزرقاء ، فأخذ يرسم لوحاته مستعملاً لوناً واحداً هو اللون الأزرق ، وكان يبيع بعضها لتاجر تحف فنية اسمه « فولارد » ، بمعدل نصف دينار للوحة الواحدة ! .. وهذا التاجر أصبح فيما بعد من المشاهير ، لأنه بقى هو الذى يتولى تسويق لوحات بيكاسو ، حتى بعد أن اشتهر .

وقد حاول النقاد والدارسون أن يفسروا سبب استعمال بيكاسو للون الأزرق وحده ، فقال بعضهم : إن اللون الأزرق يعبر عن اليأس .. يأس بيكاسو ، الذى كان يعيش بائساً معدماً .

وقال آخرون : إنه قد تكون هذه محاولة منه لإظهار قدرته الفائقة فى الرسم ، بحيث يستطيع بلون واحد أن يؤدى فى اللوحة ما يؤديه غيره بعدة ألــوان .

إن اللوحات التى رسمها فى هذه الفترة تبين أناساً تعساء ، وأشخاصاً كئيبين ، وشحاذين نحيلين ، ونساء ضعيفات ، وأولاداً وشباباً عضهم الفقر .

وشهد عام ١٩٠٤ نهاية المرحلة الزرقاء ، وبداية المرحلة الوردية ، التى استمرت عامين ، وهى مرحلة يطلق عليها أيضاً اسم « مرحلة السيرك » ؛ لأن أكثر إنتاجه الفنى فيها كان عن رجال السيرك وفتياته ، الذين عرفهم وخالطهم فى حى مونمارتر .

وفى هذا الحى ، سرعان ما أصبح استوديو بيكاسو ملتقى كثيرين من رجال الفن والأدب ، من أصدقائه الجدد ، الذين أصبح لهم فيما بعد شأن كبير، وكان بينهم الشعراء : ماكس چاكوب ، وچيوم أبولونير ، ومالارميه .. والكاتب القصصى الكبير بلزاك .. والموسيقار سترافنسكى .. والرسامون : هنرى ماتيس ، وچورچ براك ، وجرى .. والأديب الفرنسى متعدد المواهب چان

كوكتو .. والأديبة الأمريكية جرترود شتاين .. وعدد من جامعى التحف الفنية وتجارها منهم : ڤولارد ، وكهنويلر ، اللذان أصبحا على رأس بائعى روائع بيكاسو للمتاحف وللأثرياء الهاوين لجمع الآثار الفنية .

وكانت هذه الصحبة هى محور لوحات بيكاسو ورسومه فى تلك المرحلة الوردية .

وفى عام ١٩٠٧ ، رسم بيكاسو اللوحة التى غيرت مسيرة الفن فى القرن العشرين ، وهى لوحة « فتيات أفنيون » ، من وحى فتيات شارع أفنيون فى برشلونة .. وكانت هذه هى أول لوحة « تكعيبية » فى تاريخ الفن .. وتمثل خمس فتيات ، بينهن اثنتان زنجيتان .

وعندما شاهد براك وجرى هذه اللوحة لأول مرة شهقا فزعاً ، لأن بيكاسو قد حطم فيها قواعد الفن القديم وأقام فناً جديداً ، ولم يتمالك چورچ براك أن صاح به قائلاً : « لكأنك تطلب منا أن نشرب بترولاً ؟ ! » .

ولم تمضِ سوى فترة قصيرة حتى استهوت التكعيبية براك وجرى ، وتبعهما آخرون .

ويُقال : إن هنرى ماتيس هو الذى أطلق اسم « التكعيبية » Cubism ، على هذه الطريقة فى الرسم .. ولا يزال النزاع حول هذا الفن قائماً إلى اليوم ، وإن تكن حدته قد خفت قليلاً .

وفى الثلاثينيات ، عانى بيكاسو من الوحدة والشعور باليأس ، غير أن صداقته للشاعر الفرنسى الشهير « بول إيلوار » قد أزالت ذلك .

ثم نشبت الحرب الأهلية الإسبانية ، فإذا به يبيع كل لوحاته ، ويجمع نصف مليون فرنك ، ويذهب إلى موطنه الأول ، ليحارب مع الجمهوريين ضد قوات الجنرال الاسبانى « فرانكو » .

وفى عـام ١٩٣٧ قصفت الطـائرات الألمانيـة ، حليفة فرانـــكو ، مدينــة « جيـرنيكا » Guernica بالقنابل ، فدمـرتهـا تدمـيراً .. وقـد أثارت هذه الحـادثة مشاعر بيكاسـو ، فرسـم لوحـة تصـور هـول مـا حـدث ، وقـد عكف على رسـمـهـا شـــهراً ، مقبـلاً على عمله بكل قلبـــه وأعصــابه ، فكانت اللوحــة المشـــهورة « جيرنيكا » ، أشـهر لوحـة رسمها بيكاسو وأشـهر لوحـة فى القرن العشرين – كما يقولون – وهى لوحـة طولها ٥ر٢٥ قدماً وعرضـها ٥ر١١ قدماً .

وفى اللوحـة (مـصبـاح كهربـائى كبير ، وسراج ، لكنهما لا يبعثان ضوءًا ، وبيت يحـترق ، وحصـان يعانى ألماً شـديداً لأن حربة قد نفذت فيه ، ومـحـارب مقتول مازالت يده قابضة على مقبض سيف مبتور ، وامرأة تبدو وكأنها تحاول أن تزحف للوصـول إلى الحـصـان ، وامـرأة أخـرى مُدلاة من شـبّاك تصـرخ ، وامرأة ثالثة رأسـها مشوَّه بشكل مرعب مادة ذراعيها ، وثور ذو نظرة حاقدة ، وامرأةٍ تحمل بين ذراعيها طفلاً ميتاً ، وطائر يمد عنقه فاتحاً منقاره) .. إنها لوحة مرسومـة بالطريقة التكعيبية ، لا مثيل لها فى القرن الحديث فى تصوير الرعب واليأس المطبق ، ويبدو الاستشهاد فيهما واضحاً .

ومع أن اللوحة تعبر عن أهوال الحرب والموت ، إلا أن الدم الأحمر لا وجود له فيها ! إن كل مـا فيها هو لون أسـود أو رمـادى .. ولهذا تبدو اللوحة للناظر إليها وكأنها صرخة ألم واحدة مخنوقة .

وقد عرضت اللوحة أولاً فى معرض باريس الدولى ، الذى أقيم فى العام الذى رسمت فيه ، ثم نُقلت إلى « متحف الفن الحديث » بنيويورك ، وقد وضعها بيكاسو وديعة فى هذا المتحف حتى عودة الحكم الجمهورى لإسبانيا ، وعندها تسلم إليه ليعرضها فى أحد المتاحف هناك .

ورغم الإغراءات الكثيرة ، والمبـالغ الطائلة التى عُرضت عليه ثمناً لهـا ، إلا أنه لم يتخل عنها .. وكانت هذه صفة من صفات بيكاسو ، إذ أنه كان يحتفظ

بخيرة أعماله لنفسه ، ولا يبيعها .. ويروى بيكاسو أنه أثناء الاحتلال النازى لفرنسا ، فى الحرب العالمية الثانية ، دخل عليه فى مرسمه ضابط ألمانى ، فرأى صورة فوتوغرافية للوحة الجيرنيكا ، فسأله : « أأنت رسمتها ؟ » فأجابه : « لا .. أنتم الذين رسمتموها ! » .

ولم تمض فترة طويلة على إنهاء بيكاسو للوحة الجيرنيكا ، حتى ابتلى العالم بالحرب العالمية الثانية ، فعرضت كل من أمريكا والمكسيك عليه أن يهاجر إليها، ولكنه آثر البقاء فى فرنسا ليشارك البلاد التى احتضنته مصيرها ، ولكنه أعفى من الخدمة العسكرية بسبب جنسيته الاسبانية .. واحتل الألمان فرنسا ، وسقطت باريس .. وشددت قوات الاحتلال الرقابة على بيكاسو ، لأنها تعرف كراهيته لها ، فحرِّمت عرض آثاره الفنية ، وحظرت ظهور اسمه فى الصحف ، ومع ذلك لم يبرح باريس ، وبقى عاكفاً على أعماله الفنية .

وبعد انتهاء الحرب ، انضم إلى الحزب الشيوعى الفرنسى .. وقد واجه حملة من الانتقادات لعمله هذا ، واتهمه بعضهم بأنه لم يكن جاداً عندما انضم إلي الحزب ، لأن الشىء الوحيد فى حياته هو الفن .

والواقع أن بيكاسو ، وإن انضم إلى الحزب الشيوعى ، إلا أنه لم يكن ممن يتحدثون فى نظرياته .. وكل آثاره الفنية لا تتفق ورأى الشيوعية فى الفن ورسالته .. وقد وجه الشيوعيون نقداً مراً لآثاره الفنية ، ولكنه لم يحفل بهم .. وأعلن ستالين – ديكتاتور روسيا – عدم رضاه عن فنه .. ولم يُقم أى معرض له فى أى بلد شيوعى .

وعندما احتج الشيوعيون على اللوحة التى رسمها لستالين بعد وفاته عام ١٩٥٣ ، رد قائلاً : « لماذا يحاول الشيوعيون أن يتحدثوا معى عن الفن ؟ إننى لا أحاول أن أناقشهم فى شئن الاقتصاد ! » .. وبعد الحرب كتب عدة مسرحيات ، اعترضت الرقابة على اثنتين منها ؛ لأنهما تقتضيان أن يظهر الممثلون فى

مشاهدة منافية للحياء !! .. وكان من قبل قد حاول نظم الشعر بالاسبانية ، وكان يلقيه مترجماً إلى الفرنسية .

ولكن تجربته فى ميدان الأدب ليست بذات بال .

واستقر فى جنوب فرنسا ، فى دار خاصة له ، تسمى « كليفورنى » ، مع زوجته الثانية ، ومجموعة من الحيوانات بينها كلب وعنزة ! ، ويتردد عليه بين الحين والآخر أصدقاؤه المخلصين .. وكانت فترة سعيدة هانئة ، كما تدل عليها تلك اللوحات الزاهية التى رسمها خلالها .

وفى عام ١٩٤٨ ، طلب منه أحد الشعراء ، وكان صديقه ، أن يرسم رمزاً لأول مؤتمر عالمى للسلام ، عُقد فى وارسو نفس العام .. فرسم لوحة الحمامة ، وقد اتخذت رمزاً للسلام العالمى حتى الآن .. وللحمامة ، الطائر الوديع ، منزلة خاصة فى نفس بيكاسو ، منذ أن فتح عينيه عليها فى بيت أبيه .. ومن محبته لها سمى ابنته « بالوما » ، وهى « الحمامة » بالاسبانية .

وقد عاش بيكاسو ليرى بعينيه تكريم الدنيا له ، وليصبح أشهر وأغنى فنان .

ففى عام ١٩٥٧ ، أقام له « متحف الفن الحديث » بنيويورك (وهو يملك أكثر من ٣٠٠ أثر فنى له) معرضاً ، كان أضخم معرض أقيم لفنان فرد .

وفى عام ١٩٥٨ ، أهدى مبنى اليونسكو الجديد بباريس لوحة جدارية تصور انتصار قوى النور على قوى الشر ، اسمها « هبوط إيكاروس » .

وأقيمت لآثاره الفنية معارض كثيرة فى مدن العالم ، تُوجت بالمعرض الذى أقامته فرنسا له فى عام ١٩٧١ ، احتفاءً بعيد ميلاده التسعين ، فعرضت ببهو متحف اللوفر ، مجموعة تمثل تطور أعماله .. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يقيم فيها اللوفر معرضاً لفنان فى حياته .

كما أُخرجت عدة أفلام عنه ، منها فيلم عن لوحته « الجيرنيكا » ، وفيلم بعنوان « سر بيكاسو » عُرض فى مهرجان « كان » السينمائى .

وبيعت لوحاته فى حياته بأثمان خيالية ، مثال ذلك ما دفعه « المعرض الوطنى » بنيويورك ، فى إحدى لوحاته التى رسمها عام ١٩١٠ ، ووصل المبلغ إلى ١ر١ مليون دولار ! ، وذلك عام ١٩٧٢ .. وهو أكبر مبلغ دُفع ثمناً للوحة فنان فى حياته .

وكان يكسب من أعماله الفنية فى كل عام أكثر من (١٥) مليون دولار ! ، عدا استثماراته من ممتلكاته الأخرى .

وبرغم شهرته العريضة وثرائه الممتد ، فقد بقيت حاجاته من الحياة بسيطة .. يأكل قليلاً ، ويشرب أقل ، ويقضى نهاره على الشاطئ فى الهواء الطلق ، ويلبس السراويل الطويلة والصندل .

وقد عرف بيكاسو نساءً كثيرات فى حياته ، ولكنه لم يتزوج سوى امرأتين .

الأولى « أولجا خوكلوفا » ، راقصة باليه ، وأنجبت له ابنه « باولو » ، ولكن رغبتها العارمة فى الاستمتاع بالحياة ، قضت على هذا الزواج ، فانفصلا عام ١٩٣٥ .. ولكنه لم يستطع أن يتزوج ثانية إلا بعد وفاتها ، عام ١٩٥٥ .

وكانت زوجته الأخرى هى « جاكلين روك » ، حبه الكبير والأخير ، تزوجها عام ١٩٦١ ، وعاشا سعيدين ، على أحسن ما تكون الحياة الزوجية ، إلى يوم وفاته .

وهناك حبيبة أخرى فى حياته ، تختلف عن كل الحبيبات .. هى وطنه إسبانيا .. فقد بقيت تعيش فى قلبه ، وبقى هو نفسه إسبانياً فى روحه وعواطفه .. رغم أنه لم يقض فيها سوى أيام طفولته وصباه .. وحدث عام

١٩٦٦ ، فى مهرجان السينما بمدينة « كان » أن سمع أناشيد اسبانية كان يغنيها فى طفولته ، فتساقطت الدموع من عينيه .

وفى صباح يوم الأحد ، الثامن من ابريل عام ١٩٧٣ ، الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين ، توفى بيكاسو ، فى داره المسماة « موچين » فى بلدة نوتردام دى فى ، بالريفيرا الفرنسية .

توفى بالسكتة القلبية عن واحد وتسعين عاماً ، وستة أشهر ، وسبعة عشر يوماً .. وقد قال ذات مرة لأحد أصدقائه : « إن الموت لا يخيفنى .. بل على العكس ، إننى أجد فيه نوعاً من الجمال .. وإنما الذى يخيفنى هو أن أقع مريضاً ، ولا أستطيع الاستمرار فى العمل .. عندها يصبح الزمن ضائعاً ثقيلاً » .

وقد حمُل جثمانه فجر الثلاثاء إلى قصره الخاص ، فى قرية « فوفينارج » ، وهو قلعة من القرن الرابع عشر .

وكانت اذاعة باريس قد قطعت بث برامجها لتعلن نبأ وفاة بيكاسو ، وأصدرت كثير من الصحف ملاحق تحمل لقرائها وفاة الفنان الشهير .. وعندما سمع لويس أراجون ، أشهر شعراء فرنسا الأحياء ، نبأ وفاته قال : « من الصعب أن نجد الكلمات التى ترقى إلى قدر الرجل » .

ولم يترك بيكاسو وصية مكتوبة ، ولكنه أوصى زوجته چاكلين وإبنه باولو شفاهاً ، أن يقدما لمتحف اللوفر كل الآثار الفنية التى يملكها ، والتى هى من عمل غيره من الفنانين ، وهى كثيرة جداً (بين ٨٠٠ أو ١٠٠٠ لوحة) وللمشاهير من الفنانين ، ويبلغ ثمنها الكثير والكثير .. وقد أعلنا هذا النبأ بعد وفاته .. وسارع رئيس وزراء فرنسا وقتها ، فأعلن باسم فرنسا قبول هذه الهبة السخية .. لقد ملأ بيكاسو الدنيا وشغل الناس ، تماماً كنظيره الاسبانى

الرسَّام المجنون « سلفادور دالى » .. وتحدث الجميع عن فنه ، وعن حياته ، وسمات شخصيته .. وأخص تلك السمات قدرته الفائقة على التركيز التام على ما بين يديه ، فإذا أمسك بكتاب فكأنه يرى الكتاب لأول مرة فى حياته ، وإذا وقَّع اسمه فإنه يوقعه بعناية وكأنه لا يشغله فى الدنيا سوى ذلك ! .

وتذكر إحدى النساء التى تعرف إليهن ، فى كتاب ألفته عنه ، أنها سألته يوماً كيف يقضى الساعات الطويلة أمام لوحته ، منكباً على الرسم دون أن يحس بالتعب ، فأجابها : « عندما أبدأ بالرسم ، أُنزل جسدى خارج باب الاستديو ، كما يفعل المسلمون عندما يدخلون المسجد للصلاة ، إن الرسم عندى عبادة واستغراق روحى » .

وكان ذا ذاكرة قوية ، فهو يستطيع أن يذكر لك التفاصيل الدقيقة لسهرة قضاها قبل سنوات ، أو لزيارة قام بها إلى لندن قبل خمسين عام ! .. والوجوه التى عرفها لا ينساها .. ولعل هذه الذاكرة القوية هى التى جعلته أكثر الفنانين المبدعين ثقافة .

وكان مضيفاً أنيساً كريماً ، وإن كان هو نفسه يأكل قليلاً ، إلا أنه كان كثير العناية بما يقدم على المائدة من طعام وشراب ، ويسعده أن يملأ أطباق أصدقائه بكميات هائلة من الطعام ، ويسر لرؤيتهم وهم يلتهمونها .

وقد بقى منذ نعومة أظفاره حتى يوم وفاته يعمل دون انقطاع ، قائلاً : « لا توجد هناك لحظة فى حياتى أستطيع أن أتوقف عندها لأقول : لقد قمت اليوم بعمل جيد ، وغداً سأستريح » .

إنه لم يكن رساماً فقط .. لقد كان نحاتاً ، ومصمم يكور المسرحيات ، وملابس الممثلين ، وشاعراً ، ومسرحياً ، وكان أيضاً فناناً لا مثيل له فى رسوم الحفر والملصقات .

لقد رسم الوجوه ، والمناظر الطبيعية ، والمناظر داخل البيوت ، والشخصيات الأسطورية ، ومصارعى الثيران ، ورجال السيرك ونسائه ، والطيور ، والأدوات الموسيقية – رسم ذلك بابتكارات فنية متعددة ، على طريقة المدرسة الواقعية ، والسوريالية ، والكلاسيكية الجديدة ، والتكعيبية .. لأن عبقريته كانت دائمة التطور والابتكار .

لقد آمن بأن الفن قادر على تغيير نفسية الناس ، وخلق حياة أفضل لبنى البشر ، حتى إنه قال : « سيأتى اليوم الذى تستطيع فيه اللوحة الفنية أن تُشفى الإنسان الذى يشكو من ألم الأضراس من ألمه ، إذا تأمل فى اللوحة واستوعبها » ! .

تُرى .. أكان بيكاسو جاداً فى قوله هذا ، أم أن هذا القول ليس سوى سخرية من سخرياته العديدة ؟ .





إبراهيم ناجى

(١٨٩٨-١٩٥٣)

شاعر الأطلال

- ولد الشاعر الرومانسى والطبيب إبراهيم أحمد ناجى فى ليلة ٣١ ديسمبر من عام ١٨٩٨ فى شبرا بالقاهرة .. وكان والده أحد أفراد أسرة القصبجى التى عملت سنوات طويلة فى صناعة خيوط القصب المذهبة التى تستخدم فى تطوير الملابس والستائر والأغطية ، وفى تجارتها أيضاً .. وقد عمل فى شركة التلغراف بالإسكندرية ، وكان عصامياً قوى الذاكرة مفرط الذكاء ، مقبلاً على العلم والمعرفة ، فأجاد الإنجليزية بسبب اختلاطه بموظفى شركة التلغراف الإنجليزية فى ذلك الوقت ، وأجاد كذلك الفرنسية والإيطالية ، واجتمعت له مكتبة ضخمة فى مختلف الآداب والعلوم والفنون والصنائع ، وتعتبر هذه المكتبة المدرسة الأولى لإبراهيم ناجى .

والتحق ناجى عام ١٩٠٤ بسبيل والده محمد على ، ثم بمدرسة باب الشعرية الابتدائية عام ١٩٠٧ ، ثم بمدرسة التوفيقية الثانوية عام ١٩١١ .. وكانت نفسه قد مالت إلى الفنون بعامة والآداب الأجنبية بخاصة .. وقد قرأ لرواد الرومانسية فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى ، وكان يقرأ قصصهم ثم تحول إلى قراءة الشعر الرومانسى للرومانسيين الإنجليز ، أمثال : بايرون ، وشيللى ، وكولريدج ، ووردز ورث ، وكيتس .. وللرومانسيين الفرنسيين أمثال : شاتو بريان ، وبودلير ، وفيرلان .

كذلك درس ناجى دواوين أحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم ، وخليل مطران ، وأحب من الشعراء القدامى : المتنبى ، والشريف الرضى .

ولكنه يذكر أن هناك شاعرين قد درسهما جيداً وأحبهما ، وكان لهما تأثير كبير فى حياته وتفكيره وهما : شكسبير ، والمتنبى .

وقد تميز ناجى منذ حداثته بقوة الذاكرة ، ويقظته فى التقاط الأفكار والخواطر والإيحاءات الشعرية التى تؤثر فى فكره .

نال شهادة البكالوريا ، ثم التحق بمدرسة طب قصر العينى (الوحيدة فى ذلك الوقت) عام ١٩١٦ ، واستطاع أن يوفق بين دراسته الطبية وهوايته الأدبية .. وقد نال بكالوريوس الطب والجراحة عام ١٩٢٢ ، وعمره ٢٤ عاماً ، وعُين طبيباً فى علاج الانكلستوما بالقسم الطبى بمصلحة السكة الحديد ، وعمل بسوهاج والمنيا والمنصورة .

وافتتح عيادة خاصة به لمزاولة مهنته فى شبرا ، فى شارع ابن الفرات ، فوق الصيدلية الى كان يمتلكها العلاّمة الدكتور نقولا الحدّاد ، مترجم نظرية النسبية لأينشتين .

ويُذكر أن ناجى حين تقدم ليمتحن فى التشريح ، فى السنة النهائية ، كان الممتحن الدكتور على باشا إبراهيم ، وجاءوا برأس امرأة ماتت لتوها .. وسُئل ناجى عن سبب الوفاة .. فلم يعرف ! .. فقال له على إبراهيم : « يا ناجى أنت شاعر .. انظر إلى وجهها وعينيها » .

وتأملها ناجى ، وعرف أنها ماتت بالسل .. ونجح فى الامتحان ! .

وبرغم كونه طبيباً إلا أنه أولى الأدب والشعر عناية واهتماماً أكبر .. ولو أنه كان ممن يحرصون على المال لجاءته عيادته بغنى ، بل بثراء ، لشهرته الأدبية ولكثرة معارفه ، وحُسن علاقاته ، ولكنه لم يولها كل اهتمامه .. ثم إنه كان يعالج زوارها من أهل الأدب والفن والفقراء دون أجر .

وقد تزوج فى عام ١٩٣٣ ، وأنجب ثلاث بنات .

ولما تأسست جماعة « أبولو » الشعرية الرومانسية ، عام ١٩٣٣ ، برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقى وأمانة أحمد زكى أبو شادى ، انضم إليها ناجى .. وانتُخب وكيلاً ثانياً لها بعد وفاة شوقي واختيار خليل مُطران رئيساً للجماعة .. وأصبح من شعرائها البارزين .

وفى عام ١٩٣٤ أصدر ديوانه الأول « وراء الغمام » ، ثم سافر لانجلترا عدة أشهر .. وكان متمكناً من الأدب الإنجليزى والأدب الفرنسى ، فكتب فصولاً مستفيضة عن شكسبير نشرها عام ١٩٣٦ فى مجلة « الحديث » التى تصدر فى حلب .. كما كتب مقالات ضافية عن أعلام الأدب والفكر الفرنسى ، فكتب عن ڤولتير ، منتسكيو ، وبودلير وغيرهم .

كما ترجم ديوان الشاعر الفرنسى شارل بودلير (١٨٢١ – ١٨٦٧) « أزهار الشر » ، ترجمة رصينة عذبة .. وقدمه ناجى بمقدمة ضافية عن الشاعر ومذهبه فى نظم الشعر .

وفى عام ١٩٤٥ أنشأ رابطة الأدباء ، وظل يُنتخب رئيساً لها حتى تفككت عام ١٩٥٢ .

وأصدر ديوانه الثانى « ليالى القاهرة » .

وكان يرى أن الشعر هو النافذة التى يطل منها على الحياة ، ويُشرف منها على الأبد ، وما وراء الأبد ، وهو الهواء الذى يتنفسه عندما يعز الأساه .

وفى ذلك يقول :

إنما الشـعـر مـزهـر	قـد حكى قـصـة الأمم
وبـأوتـاره الْمُنـي	تـتـلاقـى وتـزدحـم
هـو قـيـثـاره الـز	مـان ونجـواه من قـدم
هـو أنشـودة الحـيـا	ة وفـيـض مـن النـغـم
هـو آهـات شـاعـر	عـرف الحـب والألـم

وقد ساعدت ناجى البيئة التى عاش فيها على التعلق بالشعر ، فهو قد نشأ فى حى شبرا ، الذى كان فى بدايات هذا القرن بساطاً أخضر بديعاً ، تتوسطه ساقية ، وعلى ضفافيه الأشجار ، وتجرى على أرضه الترعة البولاقية ، وكان ناجى يمضى بين هذه المروج ومعه بعض الكتب الأدبية ليطالعها ، ومنها قصة « دافيد كوبرفيلد » لتشارلز ديكنز .

وقد ذكر ناجى أن دافيدكوبر فيلد قد جعل منه شاعراً ، غير أن القدر شاء له أن يكون طبيباً ، وأن يصدمه بالواقع ، ويزجه فى الدائرة ، التى لا شعر فيها ولا خيال ، ولكنه كان ينصت إلى أنَّات الروح كما كان ينصت إلى أنَّات الجسـد .

وكان ناجى رجلاً سمح الخليقة ، سريع الخلطة بأمثاله من أهل الأدب والفنون ، يأنس بهم كما يأنسون به ، يقبل عليهم بنفس رضية ولسان طَلِق ، وربما لا يعدم منه صاحبه أو صاحبته بين هؤلاء بيتاً من الشعر يداعبه به ناجى ارتجالاً .. وكان دقيق البنية ، بسيط المظهر والطلعة ، وإن خلت من وسامة أو قسامة .. وهذا وما إليه جعله يلقى القبول والرضا من كل خلطائه ، ويضمن له منهم كما يضمن لهم منه السلم والسلامة ، دون حقد أو حسد أو مكايدة .

وبرغم عمق ثقافته الأدبية والشعرية ، واطلاعه على أشعار فحول العصر العباسى ، وعلى شعر الرومانسيين فى انجلترا وفرنسا فى القرن التاسع عشر ، إلا أن وفاءه لطبيعته السهلة هو الغالب على شعره ، فليس له شىء من فحولة العباسيين قديماً ، ولا مما لكبار الرومانسيين الغربيين حديثاً من توهج وامتداد ، كأنه يعيش على الشاطئ فى جيرة هؤلاء وهؤلاء ، دون أن يخوض فيما يخوضون من غمرات ، أو يعارضهم فى مجالاتهم المطروقة .. فجاء شعره – كطبيعته – سهلاً رقيقاً عذباً .

وقد أكثر من الغزل والحب ، والشكوى والدموع ، والحزن والأسى .

وبجانب ذلك كان من شعراء البطولة والفخر ، فقد أشاد بأمجاد مصر ، ووطنيته ، وألقى فى مسامع الشباب دعوات صادقة نحو التحرر والنهوض ، ورفع مستوى بلادهم الاجتماعى والصناعى ، حتى تقف مرفوعة الرأس ، مسموعة الكلمة .

يقول فى إحدى قصائده :

أَجَلْ إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا ... فمصر هى المحراب والجنة الكبرى
حَلَفْنا نولِّى وجهنا شطر حبها ... وننفد فيه الصبر والجهد والعمرا
نبث بها روح الحياه قوية ... ونقتل فيها الضنك والذل والفقرا
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلا ... ونخلق فيها الفكر والعمل الحرا

ويقول فى قصيدة أخرى :

يا شباب النيل فتيان الحمى ... وحُماه الدار أشبال الأجَم
زعموكم أمةً هَازلة ... كذب الزاعم فيما قد زعم
نتحداهم على طول المدى ... ثورة نكراء شبت تلتهم
يا شباب النيل فتيان الحمى ... وحماة الدار أشباب الأجم
حطموا القيد الذى حطمكم ... واجعلوا أمتكم فوق الأمم

أما قصيدته « الأطلال » والتى شدت بها سيدة الغناء العربى ، فهى أشهر قصائده ، وكانت سبباً فى ذيوع شهرته أكثر .. ومن أجلها سُمى « شاعر الأطلال » .. ويقول مطلعها :

يا فؤادى لا تَسَل أين الهوى ... كان صرحاً من خيالٍ فَهَوَى
اسْقِنى واشرب على أطلاله ... وروِّ عنى طالما الدمعُ رَوَى

ويقول فيها :

أين من عينى حبيبٌ ساحرٌ	فيه نُبل وجلال وحياء
واثقُ الخُطوة يمشى مَلَكًا	ظالمُ الحُسن شهيُّ الكبرياء
عَبِقُ السحر كأنفاس الربى	ساهِمُ الطرفِ كأحلام المساء
مُشرِقُ الطلعةِ فى مَنطقِهِ	لغةُ النورِ وتعبير السماء

وبسبب رقة شعره وبساطته ، سيظل ناجى الشاعر المفضل لدى الشباب ذوى العاطفة الجياشة التى تعصف بالقلب واللب ، وتحيل الكلمات دموعاً ، والدموع كلمات .

وكان ناجى قد انتقل إلى وزارة الأوقاف ، وصار مراقبًا عاماً للقسم الطبى بها عام ١٩٤٧ .. ثم فُصل من وظيفته تلك بسبب دسائس حيكت له عام ١٩٥٢ .

وفى ٢٤ مارس من العام التالى ، توفى الشاعر فجأة وهو يعالج بعض مرضاه .

وصدر له بعد وفاته ديوانا « الطائر الجريح » و« فى معبد الليل » .

وغير أشعاره له كتاب « فى فن القصة » .. كما ترجم قصة « الجريمة والعقاب » للكاتب الروسى ديستويفسكى .. وكانت له محاضرات فى النقد وتاريخ الأدب وعلم النفس ، كان يلقيها فى الأندية الثقافية .. وفى فترة ما كان يصدر مجلة طبية سماها « حكيم البيت » .

وله أيضاً كتاب « مدينة الأحلام » عبارة عن مجموعة من القصص والمحاضرات الأدبية .. وقد صدَّر الكتاب بإهداء لوالده ، جاء فيه : « إلى الوالد العزيز أحمد بك ناجى .. أول قصة سمعتها أذنى كانت من شفتيك .. وأول كتاب قيِّم فتحت عليه عينى تناولته من خزانة كتبك ، وأول مرحلة فى طريق التأمل والتفكير كنت لى فيها هادياً ودليلاً .. فإلى معلمى الأول .. وإلى المنار الذى شق لى ظلمة الليل .. إلى أبى الغالى .. أقدم هذا الكتاب » .



إدموند هالى

(١٦٥٦ - ١٧٤٠)

مكتشف مذنب هالى

- فى مارس عام ١٩٨٦، ملأ مذنّب هالى - أحد أشهر المذنبات السماوية - السماء ضياء .. والدنيا ضجيجاً .. فهو يزور الأرض بانتظام كل ٧٦ عاماً .. وقد استعد العلماء والفلكيون وقتها لاستقباله بحفاوة علمية لم يسبق لها مثيل .

وبلغ من اهتمام الناس بهالى المذنب ، أنهم نسوا هالى العالم ، صاحب الفضل الأكبر فى تحديد مدار المذنب والتنبؤ بعودته .

فمن هو إدموند هالى هذا ، وما هى منجزاته العلمية المتنوعة ، التى تؤهله لتبوؤ المكانة الأولى بين علماء عصره جميعاً .. باستثناء اسحق نيوتن .. وما هو فضله فيما يتصل بمذنبه الشهير .. مذنب هالى ؟

ولد هالى فى قرية هاكنى قرب لندن عام ١٦٥٦ .. وشعر بميل للفلك منذ طفولته .. وقد رأى بأم عينه ، وقبل بلوغه العاشرة من عمره ، مذنبين عظيمين ، مذنب عام ١٦٦٤ ، الذى يعتبره الناس مسئولاً عن وباء الطاعون الذى رافق ظهوره .. ومذنب عام ١٦٦٥ ، الذى تزامن واندلاع حريق لندن الكبير .. فلم يشك أحد من العامة بأن المذنّب هو الذى سبب ذلك الحريق !

ولما كان الأب صاحب مصنع للصابون ، وقد أثرى فى أعقاب انتشار الطاعون .. وانتشار الوعى الصحى معه ، استطاع إدموند الالتحاق بجامعة

أكسفورد ، وبكلية الملكة فيها بالذات .. ومعه عدد كبير من التليسكوبات التى زوده بها أبوه ، ومن طريف ما يُذكر أن أحد تلك التليسكوبات التى حملها الطالب معه بلغ طوله ٢٤ قدماً .

ولكن الطالب هالى ما لبث أن انقطع عن دراسته الجامعية .. فقد ضحى بها وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، وذلك من أجل رحلة علمية فلكية قام بها إلى بحار الجنوب ، ودرس فيها نجوم السماء فى نصف الكرة الجنوبى ، وقد استغرقت رحلته تلك ٣ سنوات ، وأنجز فيها مسح مواقع مجموعة كبيرة من النجوم ، ٣٤١ نجماً على وجه التحديد .

وجاء عام ١٦٨٠ ، وإذا بإدموند هالى يرى لأول مرة المذنب الذى سمى باسمه فيما بعد .. رآه وهو فى عرض البحر ، وفى طريقه من دوفر إلى كاليه .. وراعه منظر المذنب ، فقصد إلى باريس فى الحال ، واجتمع بعالم الفلك الفرنسى كاسين ، الذى اقترح أن يكون مذنب ١٦٨٠ - مذنب هالى - هو نفسه مذنب ١٥٢٨ .. واقترح أيضاً أن تكون المذنبات من أتباع الشمس ، وتدور حول الكواكب .. وانغرست هذه الآراء فى نفس هالى كانغراس البذور فى التربة .. ولكنها لم تتعد كونها آراء ، وبحاجة إلى توطيد وتبرير بالرياضيات قبل أن تكتسب الثبوت أو الطابع العلمى ، وتحظى باحترام العلماء .. لا عجب إذن أن طغت على تفكير إدموند الشاب ، وأثارت فى نفسه الحماسة للبحث عن تلك الرياضيات .

ولا يخفى أن الجاذبية وقوانينها هى قوام الرياضيات التى يحتاجها الفلكى لتحديد مسار المذنبات ، ولكن الجاذبية كانت ما تزال مشكلة الفلك فى ذلك العصر .. فقد شعر بوجودها العلماء .. ولكن شعورهم كان لايزال مفتقراً إلى الرؤية الواضحة .. فضلاً عن الإلمام بقوانين الجاذبية التى تشد أجرام السماء بعضها إلى بعض ، والتى تفصل تلك الأجرام نفسها بعضها عن بعض .

ولطالما تأمل إدموند هالى هذه الجاذبية بلا طائل .. ولطالما تباحث فيها مع صـديقه كريستوفر رن ، المهندس المعمارى الكبير آنذاك ، والفلكى المعروف سابقاً .. ولما أعياهما البحث ، أعلنا فى الصحف عام ١٦٨٤ مكافأة مالية مجزية لمن يحل لهما تلك المشكلة .. وبلغت قيمة المكافأة جنيهين استرلينى .. وهى قيمة كبيرة بمقاييس تلك الأيام ! .

ومضت شهور والمشكلة قائمة بلا حل .. فتوجه هالى إلى جامعة كمبردج قاصداً الاجتماع بأستاذها الكبير اسحق نيوتن .. لعله يشاركهم البحث عن حل لمشكلة الجاذبية ، وفوجئ هالى حين اكتشف أن نيوتن كان على علم تام بتلك المشكلة ، وأنه نجح منذ زمن فى تحديد قوانين الجاذبية ، وأنه أوضح ذلك كله وبتفصيل فى كتاب له .. كتبه دون أن ينشره .

وذهل هالى لمحتويات ذلك الكتاب .. وقد وجد فيها الحل الكافى لكثير من مشاكل ذلك العصر العلمية .

وشعر هالى بضرورة نشر ذلك الكتاب ، وظل يلح على نيوتن بنشره حتى أقنعه .. ولعل استعداده لتحرير الكتاب ومراجعته وتمويل نشره ، هو الذى ضمن لكتاب نيوتن الخروج إلى حيز النور .

ولما كان كتاب نيوتن هذا ، وهو (البرنسيبيا) PRINCIPIA أو (القواعد الرياضية للفلسفة الطبيعية) ، من أعظم كتب العلم فى التاريخ كله .. إن لم يكن أعظمها جميعاً ودون استثناء .. اعتبر دور هالى فى نشره بمثابة فضل علمى كبير ، بلغ فى نظر الكثيرين المرتبة الأولى بين منجزات هالى العلمية جميعاً .

ومهما يكن من أمر ، فإن كتاب نيوتن هذا هو الذى قدم إلى إدموند هالى الرياضيات التى طالما بحث عنها .. وهو الذى مكنه من تحديد مدار مذنبه ، مذنب هالى .. ومذنبات أخرى غيره ، بلغت ٢٣ مذنباً بالتحديد .

ونشر إدموند نتائجه هذه فى الكتاب الذى نشره عام ١٧٠٥ ، والذى تنبأ فيه بأن المذنب سيعاود الظهور فى السماء مرة أخرى بعد ٧٦ عاماً .. وصدقت نبوءته بالفعل ، وظهر المذنب ، ولكن بعد وفاته .. واعترفت له الأجيال اللاحقة بأكثر مما تمنى ، فأطلقت اسمه على هذا المذنب ، خلافاً للقاعدة ، قاعدة تسمية المذنبات بأسماء مكتشفيها ، لا بأسماء دارسيها ، أو العاملين على تحديد مداراتها .

وقد شغل هالى منصب بروفسور فى جامعة اكسفورد عام ١٧٠٤ .. وحل محل العالم الشهير فلامستيد بعد وفاته عام ١٧١٩ ، وأصبح فلكى الملك .

وتجدر الإشارة إلى بعض منجزات هالى وأعماله العلمية الأخرى ، التى لا تدع مجالاً للشك بأنه كان بحق أعظم علماء عصره .. بعد اسحق نيوتن .. من ذلك أنه ابتكر طريقة لقياس المسافة بين الأرض والشمس .. وكانت هذه الطريقة هى التى اعتمدها المستكشف الكابتن كوك فى رحلاته .. وفى جزر تاهيتى بالذات .. ومن ذلك أيضاً أنه قام بأبحاث عديدة مختلفة فى المغناطيسية .. والنبات .. والحرارة .. والهواء .

أيضاً قام باختراع أول جرس للغواصين ، ويعمل فى أعماق المياه بنجاح ، وكان الأساس الذى قامت عليه إحدى الشركات لإنقاذ السفن من الغرق .. أو تجنيبها إياه .

وقام أيضاً بمشروعه الخاص ، وهو رصد القمر ، الذى استغرق ١٨ عاماً ، واكتمل عام ١٧٤٠ ، أى العام الذى توفى فيه هالى عن عمر يناهز ٨٤ عاماً .





كليوباترا

(٦٩-٣٠ ق.م)

أشهر ملكات التاريخ

- لم يشهد التاريخ امرأة تستغل أنوثتها بمثل ما استغلتها كليوباترا CLEOPATRA .

فعندما اعتلت العرش بعد وفاة أبيها ، كانت مصر دولة ضعيفة فقدت كل ممتلكاتها ، وبدلاً من أن تنتظر قادة روما - أقوى دولة فى ذلك الوقت - حتى يغزوا مصر ، عملت هى على غزو قلوبهم ، واستطاعت بهذه الطريقة أن تمد نفوذها أبعد من مصر .

وكليوباترا هذه هى كليوباترا السابعة ، ابنة بطليموس الثانى عشر وسليلة البطالمة الذين بدأوا يحكمون مصر عام ٣٣١ ق.م ، عقب وفاة الإسكندر الأكبر .

وقد ولدت عام ٦٩ ق.م ، وتولت حكم مصر عام ٥١ ق.م بالاشتراك مع أخيها الأصغر ، بطليموس الثالث عشر ، بناءً على وصية والدهما قبل وفاته .. ولكنها كانت واسعة الاطلاع ، قوية الإرادة ، وتمتاز بالشجاعة الفائقة ، وسعة الثقافة ، والجمال الأخاذ ، والقدرة الفذة على استهواء واستمالة الآخرين .. لذلك لم تكن لتقنع بالمشاركة فى حكم مصر مع أحد ، حتى لو كان أخوها نفسه .

غير أن العلاقة بين كليوباترا ورجال القصر تأزمت ، فأشاعوا أنها تسعى لقتل أخيها حتى تنفرد بالعرش . مخالفة بذلك وصية أبيها .. كما استطاعوا أن يثيروا عليها الجيش وشعب الإسكندرية .

فاضطرت إلى الفرار من المدينة ولجأت إلى حدود مصر الشرقية ، حيث جمعت لنفسها جيشاً تسترد به عرشــها ، غير أن أخاهـا سار بجيش لـه إلى « بلوزيوم » PELUSIUM ليسد عليها طريق العودة .

وفى تلك الأثناء ، كانت تدور معركة « فارسالوس » ، على الشاطئ الآخر من البحر المتوسط ، بين يوليوس قيصر وبومبى .. وانتصر فيها قيصر ، وهرب بومبى إلى مصر .

وتبعه قيصر ، فاتجه إلى الإسكندرية ، فدخلها ووجدها خالية من الملك والملكة ، وقد سلمه المصريون رأس خصمه طواعيةً له .. وأعلن قيصر نفسه حكماً فى الخلاف القائم بين كليـوباترا وأخيهـا .. وحضر الملك من بلوزيوم .. أما هى فيقال إنها دخلت الاسكندرية مختبئة داخل سجادة ! ، فلما بُسطت أمام قيصر ، خرجت منها بدلالها وجمالها .

وتوطدت العلاقة بينهما ، لا على أساس أنه ديكتاتور روما وأنها ملكة مصر ، وإنما كعلاقة بين رجل وامرأة .

وقد أقر كليوباترا على عرشها ، بمشاركة أخيها .. لكن ساسة القصر حاولوا عدم تنفيذ ما أراده قيصر .. ولكنه استطاع أن يسيطر على منطقة القصر الملكى والميناء .. ثم وصلته قوات من جيشه فى سوريا ، وحاصرت الإسكندرية واستولت عليها .

وحاول الملك الصغير ، بطليموس الثالث عشر ، أن يهرب إلى الشرق ، ولكنه غرق أثناء عبوره النيل .. وأعلن قيصر كليوباترا ملكة على مصر عام ٤٧ ق.م .

وقد قضى الشتاء فى مصر قرب الملكة التى ملأت قلبه وعقله ، حتى إنه آثر أن يؤجل ذهابه إلى روما بالرغم من ضرورة حضوره إليها ، وقيل إنه تنازل عن جزيرة قبرص لكليوباترا .

وفى يونيه عام ٤٧ ق.م وضعت الملكة طفلها من قيصر وأسمته « قيصرون » .

وعندما عاد إلى روما فى العام التالى ، فازت قواته فى الحرب الأهلية التى نشبت هناك ، واختاروه حاكماً مطلقاً مدى الحياة ... وقد لحقت به كليوباترا وابنها الصغير ، فاستقبلت استقبالاً حافلاً ، وأحاطها هو بكل رعاية وتكريم ، وأقام لها تمثالاً من الذهب فى معبده الجديد لفينوس .. وفى ١٥ مارس عام ٤٤ ق.م ، تكاثر المتآمرون من رجال السياسة على قيصر ، فقتلوه فى مجلس الشيوخ .. ووقعت البلاد فى حرب أهلية جديدة .. وأدركت كليوباترا أن روما لم تعد مستقراً لها فغادرتها إلى مصر .

وانتهت الحرب الأهلية التى أعقبت اغتيال مصرع قيصر بانتصار أوكتافيوس ومارك أنطونيو ، واقتسم القائدان أملاك الجمهورية الرومانية فيما بينهما .

وكانت مصر فى ذلك الوقت الدولة الوحيدة التى كانت ما تزال مستقلة عن روما فى الشرق ، فطلب أنطونيو من كليوباترا أن تقابله فى أفسوس ، وهناك استطاعت أن توقعه فى غرامها .

وقد حضر إلى مصر فى شتاء عام ٤١ ق.م حيث توطدت علاقته بكليوباترا ، ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .. ثم أعلن تقسيم الولايات الشرقية كلها .

فما كان من أوكتافيوس – شقيق زوجة أنطونيو الأولى – إلا أن عبأ الرأى العام الرومانى ضد أنطونيو ، ثم أعلن الحرب عليه .. ودارت المعركة الفاصلة بينهما عند أكتيوم فى غرب اليونان عام ٣١ ق.م .

وعندما لاحظت كليوباترا تفوق أوكتافيوس ، انسحبت إلى الإسكندرية ، ولحق بها أنطونيو ، ثم فاجأها أوكتافيوس من سوريا واستولى على مصر ، ودخل الإسكندرية فى أغسطس عام ٣٠ ق.م ، فلم يجد أنطونيو وسيلة سوى الانتحار ، كما وجدت كليوباترا ميتة فى قصرها ، وقيل إنها انتحرت ، كما قيل إن أوكتافيوس قتلها ، كما قتل أيضاً ابنها ، وأعلن ضم مصر إلى روما .

وهكذا انتهت حياة هذه المرأة الغريبة ، التى قدر لها أن تكون خاتمتها خاتمة عصر بأسره فى التاريخ المصرى ، وهو عصر البطالمة .

وقد ظلت كليوباترا أسطورة ترددها الألسن فى كل مكان ، ويستلهمها الكتّاب والشعراء على مر العصور ، أمثال شكسبير ، وبرنارد شو ، وأحمد شوقى .



تيودور بلهارس

(١٨٢٥-١٨٦٢)

مكتشف البلهارسيا



– ولد تيودور ماكسيميليان بلهارس BILHARZ ، فى بلدة «زيجمارينجن» جنوب ألمانيا ، فى ٢٣ مارس عام ١٨٢٥ .. وقد أظهر منذ طفولته ميلاً لدراسة العلوم الطبيعية ، وأتم دروسه الجامعية فى الفلسفة ، والعلوم الطبيعية ، والآثار القديمة فى جامعة « فرايبورج » عام ١٨٤٣ .. ثم توجه إلى جامعة « توبنجن » لإكمال دراسته ، ونال الدكتوراه فى الطب ، وتخرج طبيباً عام ١٨٥٠ .

عمل مع العالم الشهير « فون زيبولد » وأخذ يتدرج فى مناصب التدريس حتى أصبح أستاذاً بمعهد التشريح بجامعة فرايبورج .

وكان أستاذه « جريزنجر » قد حضر إلى مصر بدعوة من خديويها ليشغل منصب مدير الصحة ورئيس اللجنة الصحية بمصر .. فعرض على تلميذه بلهارس أن يصحبه فى مهمته العلمية .. وبالفعل حضر إلى القاهرة ، وأتيح بذلك له مجال واسع فى التشريح علي نحو أفاد منه فائدة كبرى طوال حياته العلمية .. وأخذ يلقى المحاضرات فى مدرسة الطب بالقاهرة .. وأصبح فى عام ١٨٥٢ يشغل وظيفة مدير عيادة .. وفى العام التالى أصبح مديراً للقسم الطبى .. وفى عام ١٨٥٥ عُين أستاذاً فى العيادة الطبية .. ثم أستاذاً للتشريح في عام ١٨٥٦ .

وقد طابت له الإقامة فى مصر ، فأكب على العمل بحماسة وتفان ، وبدأ يتصل بالبيئة المصرية ، ويتعرف على أحوالها .. كما تعلم العربية ، فأتقنها قراءة وكتابة ، وعقد أواصر الصداقة مع العلماء ، واتجه إلى دراسة الآثار المصرية ، وإلى الدراسات الإسلامية المتنوعة .

وعندما هم بلهارس بالسفر إلى مصر ، كان من بين النصائح التى وجهها إليه أستاذه فى علم التشريح ، أن يُعنى عناية خاصة ببحث موضوع الأسماك الكهربية الموجودة فى نهر النيل ، وأن يدرس بإمعان موضوع الطفيليات التى تصيب جسم الإنسان المصرى ، لما لهذين الموضوعين آنذاك من أهمية علمية للمشتغلين بالطب .

أما عن الموضوع الأول ، فقد تمكن بلهارس ، بعد عمل شاق وجهود مضنية ، من فحص العضو الكهربائى الموجود فى بعض الأسماك النيلية ، وقدم عنه دراسة وافية تعد مرجعاً علمياً للباحثين .. وبالنسبة لموضوع الطفيليات والإصابة بها ، فقد برز فيه بلهارس ، وبحث واجتهد ، وتبين له من خلال بحوثه أن كثيراً من المصريين مصابون بهذا المرض .. وأنه يستنزف قواهم .. ليس فى عصره فقط .. بل منذ زمن طويل .. فقد عثر على بيض هذه الطفيليات متكلساً - أى متحجراً - فى كُلَى إحدى المومياوات المصرية القديمة ، بعد أن قام بتشريحها ، مما يدل على أن هذا المرض متأصل فى مصر منذ آلاف السنين ، وأن معظم أمراض الكُلَى والمثانة ، إنما تعود إليه .

ومما يذكر فى هذا الصدد ، أن هيرودوت - أبو التاريخ - الذى زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد ، قد لاحظ أن سكان وادى النيل يعانون من مرض لا تُعرف أسبابه ، لكنه يضعفهم ويبدد طاقاتهم .. وذكر ذلك فى كتابه الشهير « التواريخ » .

ومما يزيد من خطورة هـذا المرض ، أنه منتشـر فى العـالم على نطـاق واسع ، وأنه يصيب سكان الريف فى أفريقيا وآسيا ، وحتى أمريكا الجنوبية .

وفى ٢٨ أغسطس عـام ١٨٥١ ، أشـار بلهـارس إلى أنه اكتـشف شيـئاً رائعاً .. دودة من النوع الماص .. هى التى تسبب هذا المرض الغريب .. وأطلق عليها اسم DISTANUM HEAMATOBIUM .. وفيما بعد عُرفت هذه الديدان ، ومـا تسـبـبه من مـرض خطيـر باسم « البلهـارسـيـا » .. وأطلق عليـهـا العلمـاء BILHARZIA HEAMATOBIUM ، تخليداً لمكتشفها تيودور بلهارس .

وقد عثر بلهارس على هذه الدودة فى الدم والكبد ، وفى مواضع أخرى من أجساد المصابين بها ، خلال تشريح بعض الجثث ، ويبلغ حجم الدودة سنتيمتراً واحداً .. والغريب فى حياتها ، أن الأنثى تعيش في جسم الذكر ، وأن بيضها يخرج مع الفضلات الآدمية .. فإذا قضى المصاب بها حـاجته فى الماء الراكد ، أو على مـقـربة من شـاطئ النيل ، أو التـرع ومصـارف الميـاه ، أُصـيب بهـا عن طريق يرقاتها التى تختـرق الجسم ، فلا يلبث بعد قليل أن تظهر عليـه أعراض البلهارسيا .. فالمصـابين بهذا المرض يدركهم السأم والتعب ، ويعلو الشحوب وجوههم ، ويقل إقبالهم على العمل ، وتصبح أجسـادهم عُرضة لأمراض أخرى متعـددة .

وكل ذلك يؤثر على إنتـاجـهم ويقلل من نشـاطـهم ، مما يعـود بالخسـائر الفادحة على الدولة .

وفى وقت ما كانت البلهارسيا تصيب عدة ملايين من الأطفال والشباب فى مـصر ، وكـانت الإصـابة بهـا تحدث فى سن مبكرة للأطفـال بين ثلاث وخمس سنوات مما يؤدى إلى تحكم المرض فى الجسم .. وكـانت هناك بعض القـرى الريفية تصل الإصابة فيها إلى نسبة ٩٥٪ .. وقد قدرت الخسـائر الناجمة عن هذا المرض بما يقرب من ثلث الدخل القومى ، غير تكاليف العلاج والمقاومة .

وقد قلّت نسبة المصابين بهذا المرض كثيراً ، وبالتالى لم تعد خسارة الدولة فادحة ، وذلك بعد ازدياد الوعى الصحى والتقدم العلمى ، ومجهودات الحكومة فى مكافحة المرض والاهتمام بالقرية المصرية .. وبعد اكتشاف الطب لنوع من الأقراص ، يتعاطاها المصاب بالبلهارسيا ، صغيراً أو كبيراً ، فيُشفى تماماً .وهناك نوعان من الإصابة بالبلهارسيا : بلهارسيا المستقيم ، وبلهارسيا المجارى البولية .

ولم تقف جهود بلهارس عند حد اكتشاف هذا المرض ، بل إنه كان يعنى بتاريخ الحضارات وتاريخ الفنون ، منذ أن كان طالباً بجامعة فرايبورج .. ولهذا خص مصر بقسط كبير من وقته ، درس فيه الجوانب الحضارية والتاريخية للبلاد التى أحبها ، فأعان الكثيرين من المستشرقين فى أبحاثهم .

وقد ظهرت جهوده فى تحقيق أسماء النباتات والحيوان باللغة العربية ، ولاسيما تحديد صفات وأسماء بعض الحيوانات المنقوشة رسومها على الآثار المصرية القديمة .

وفى عام ١٨٦٢ ، وصل إلى القاهرة الدوق « إرنست الثانى » الألمانى ، وبرفقته زوجته .. وكانا يزمعان القيام برحلة صيد إلى بلاد الحبشة .. ورافق بلهارس الأمير وزوجته كطبيب خاص .

وفى بلاد الحبشة ، أصيب بلهارس بمرض التيفوس ، إذ انتقلت إليه العدوى من أحد المرضى الذين كان يعالجهم .. وتوفى عند عودته إلى القاهرة فى ٨ مايو من نفس العام .. ولم يتجاوز عمره الثامنة والثلاثين .





بـــاخ

(١٦٨٥-١٧٥٠)

الموسيقار العظيم

- توفى عام ١٧٥٠ ، ودفن فى قبر مجهول بمدينة ليبزيج ، ولقيت موسيقاه من بعده الكثير من الإهمال والنكران ، ولم يشفع له فى ذلك أن عدداً من أبنائه كانوا هم أيضاً مؤلفين موسيقيين حققوا النجاح والشهرة ، بل إنهم أنفسهم قد لعبوا دوراً فى إسدال ستائر النسيان على موسيقا والدهم العظيم ، ظناً منهم بأنه كان صوت عصر سابق ولىّ وانتهى ! .

ولكن التاريخ أنصف الفنان العبقرى واستعاد له مكانته الحقيقية بين مفكرى الإنسانية فى مجال الموسيقا .. ولم يَمضِ قرن ونصف على مولده ، حتى أصبح متربعاً بحق على عرش فريد فى الموسيقا ، لا يطاوله فيه أحد من معاصريه ولا من الأجيال التالية .

وفى عام ١٩٨٥ ، احتفلت ألمانيا ، والعالم كله ، بمرور ٣٠٠ عام على مولد هذا الفنان العظيم .

إنه الموسيقار الكبير يوهان سباستيان باخ JOHN SEBASTIAN BACH ، أول فنان استطاع أن يؤلف بين الأساليب الموسيقية المختلفة فى أوربا الغربية كلها ، وذلك بأن مزج التقاليد الموسيقية فى إيطاليا وفرنسا وألمانيا .

ولد فى مدينة أيزيناخ فى ٢١ مارس عام ١٦٨٥ ، لأسرة ظلت تنجب موسيقيين محترفين على مدى قرنين أو أكثر ، وكانت تحب الموسيقى وتقدرها

تماماً .. فقد كان أبوه عازفاً بارعاً على القيثارة ، وكان اثنان من أعمامه من المواهب الموسيقية الكبرى ، وعدد كبير من أبناء عمومته من ألمع المؤلفين والعازفين أيضاً .

وعندما توفى والداه وهو فى سن العاشرة ، كفله أخوه الكبير يوهان كريستوف ، وكان هو الآخر موسيقياً فى الكنيسة ، وتولى تعليمه الموسيقا تعليماً راسخاً .. ثم التحق بمدرسة سان مايكل ليتلقى دروسه الأولى فيها .. وكانت المدرسة تساعده مادياً لأن له صوتاً جميلاً ، ولأن حاجته المادية كانت شديدة .

وتخرج فى هذه المدرسة عام ١٧٠٢ ، وبعد مدة قصيرة أصبح عضواً فى كورال كنيسة القديس مايكل فى لونبرج .. وكان يعزف على القيثارة .. وبعد أربع سنوات عمل عازفاً للأرغن فى كنيسة آرنشتات ، وكان يجيد عزف الأرغن إجادة تامة ، ولم يكن من بين معاصريه فى ألمانيا من يباريه فى مقدرته على عزف هذه الآلة ، والارتجال عليها .

وباخ لم يحقق هذا التفوق بيسر ، بل إنه تكبد فى سبيله مشاق كثيرة ، فقد كان فى عصره اثنان من شيوخ موسيقا الأرغن هما : راينكن ، وبوكستهودا .. وذات مرة سعى باخ إلى شمال ألمانيا فى رحلة شاقة سيراً على الأقدام لمجرد أن يستمع إلى راينكن ويستفيد من خبرته .. وفى مناسبة أخرى ترك وظيفته طوال أربعة شهور ، وتوجه إلى مدينة لوبيك على بحر البلطيق ، لكى يتتلمذ على يد بوكستهودا ، ويتعلم من مهارته الفائقة فى العزف والارتجال على الأرغن .

وفى عام ١٧٠٤ ، عندما شغل باخ وظيفة عازف للأرغن فى مدينة أرنشتات ، وجدها مقيدة لخياله الإبداعى ، كما أن أجره فيها لم يكن يكفيه للحياة المتواضعة التى كان قانعاً بها .

وعندما انتقل فى عام ١٧٠٧ إلى وظيفة أخرى فى مولهاوزن ، استقر فيها بعض الوقت ، وتزوج من ابنة عمه « ماريا باربارا » ، التى أنجبت له سبعة أولاد .

ثم عمل بعد ذلك فى مدينة فايمار ، عازفاً للأرغن فى الكنيسة ، ومديراً لموسيقا الحجرة لدى أميرها .. وكانت فترة عمله هناك مزدهرة بإنتاج رفيع المستوى ، ليس فى الموسيقا الدينية الكورالية فقط ، بل وفى مؤلفات الأرغن الكبيرة ، التى أكسبته مكانة خالدة فى تاريخ الموسيقى .

وفى فترة عمله لدى أمير فايمار ، لم يلق ما لقيه فى أرنشتات من التزمت الدينى ، ولذلك انطلقت طاقاته الخلاقة بلا قيود ، وأصبح فريداً بين معاصريه من مؤلفى وعازفى الأرغن فى أنحاء أوربا كلها .

وبعد عشر سنوات مجيدة فى فايمار ، انتقل باخ لوظيفة مدير الموسيقا فى بلاط أمير مدينة كوتن ، من عام ١٧١٧ حتى ١٧٢٣ ، وكان هذا العمل من أعلى الوظائف التى تقلدها فى المركز الاجتماعى ، وأبدع فى هذه الفترة أقوى وأروع ما كتب من الموسيقا للآلات ، بعيداً عن المجال الدينى .. فألف متتالياته الجميلة للأوركسترا وعدداً ضخماً من الكونشرتات .

وفى هذه الفترة أيضاً توفيت زوجته وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره .. وفى العام التالى ، ١٧٢١ ، تزوج باخ مرة ثانية من « آنا ماجدالينا » .

ولم تكتفِ هذه الزوجة بتربية أولاده السبعة ، بل إنها أنجبت له ثلاثة عشر ولداً آخرين ! ، ولم يبق منهم سوى تسعة عاشوا بعد وفاة أبيهم ، وقد أصبح أربعة منهم موسيقيين ممتازين .. وأخيراً استقر به المطاف فى وظيفة مهمة بمدينة ليبزيج ، التى ارتبطت به بعد ذلك عبر تاريخها ، حيث تقلد وظيفة مُنشد فى كنيسة القديس توماس ، وكان مسئولاً عن الموسيقا فى كنائس المدينة ، وعن القيادة الموسيقية ، وتعليم الصبية اللغة اللاتينية والموسيقا .

وظل يشغل هذا المنصب من عام ١٧٢٣ وحتى وفاته عام ١٧٥٠ .

وقد أبدع خلال تلك الفترة عدداً كبيراً من أعماله الكبرى والعظيمة .

وبالرغم من عبقريته الموسيقية ، إلا أنه عانى شظف العيش ، وعدم الشهرة والثراء ، واعتلال الصحة .. ولم يلق شهرة موتسارت أو بيتهوفن أو ليست أو شوبان ، الذين اشتهروا جميعاً وهم أحياء .. وقد كان غزير الإنتاج حقاً ، فقد بلغت أعماله الفنية أكثر من ٨٠٠ عمل من روائع الآثار الموسيقية .. وكان رجلاً متديناً يحلم بأن تؤدى أعماله الموسيقية إلى تعميق الشعورالدينى ، ولذلك فاكثرها كانت دينية ، مثل « القداس الكبير » و « قربان الموسيقى » و « آلام المسيح » .

ولم يبدع أشكالاً موسيقية جديدة ، إنما استخدم الأشكال الموسيقية القديمة وطورها .

وقد ظل باخ شبه مجهول فى الخمسين عاماً التى جاءت بعد وفاته ، فقد توارت موسيقاه فى الظل ، بسبب تقليديتها ، بعكس هايدن وموتسارت وبيتهوفن ، الذين ابتدعوا أشكالاً جديدة فى التأليف الموسيقى ..

ولكن فى عام ١٨٠٠ وما بعد ذلك ، حدثت صحوة موسيقية ، أدت إلى إحياء باخ والإشادة بعظمته وعبقريته ، وأصبح باخ الآن من أكثر عمالقة الموسيقى شعبية ، عما كان فى عصره .

ولقيت أعماله الموسيقية إعجاباً عظيماً ، لأنها منسقة ، ومنطقية أيضاً .. ولأنه يعتبر أقدر مؤلفى الموسيقى على التزام القواعد والأصول الموسيقية .

ويرى دارسو الموسيقى فى أعماله عمقاً وتنوعاً وغنى لونياً ، وأنها أوضح من أعمال كثيرين من عباقرة الموسيقى وفى كل العصور .

وفى أواخر حياته ، عانى من ضعف البصر ، حتى فقد نور عينيه تماماً .

وقد قال يصف حياته والظلام يحيط به من كل ناحية : « كان صوت الطيور فى الصباح هو الشىء الوحيد الذى يذكرنى بأن الظلام قد انقشع .. وكنت أقوم من فراشى وأتجه صوب النافذة فى غرفتى ، وأقف وراءها فأحس بدفء الشمس وهى تتسلل فى رفق إلى حيث كنت أمضى أيام الظلام .

إننى لم أغادر هذه الغرفة منذ أن اختفى أمامى آخر خيط من الضوء .. فقد كنت لا أحتمل أن أُمسك بيد تقودنى ، لا أحتمل أن أشعر بالصمت الذى كان يحتوى المكان الذى أظهر فيه فجأة ، فتتحول الضحكات إلى همس ، وهى التى كانت تدوى منذ لحظات قبل وصولى إليه ! .

لقد أحببت الحياة ، وأحببت الناس ، وأحببت الطبيعة ، وعشقت الموسيقى ونغمها الذى بقى يصل إلى أذنى فى الظلام .

كان الشىء الوحيد الذى يذكرنى بأننى مازلت حياً ، هو صوت موسيقاى ، فكنت أحس كلما سمعت نغماً جديداً أن أبواب السماء تفتح لى ذراعيها ، لتستقبلنى ولتخلصنى من الألم الذى أعانيه على الأرض بعد أن كساها الظلام .

ومات باخ بعد عام واحد من إصابته بالعمى .. وكانت ليلة عاصفة ممطرة تلك التى مال فيها بجسمه إلى الوراء ، وقال : « إننى أرى بصيصاً من النور ولكنه قادم من بعيد .. قادم من السماء .. إنها تدعونى إليها ! » .

ثم سقط رأسه فوق صدره ، ولأول مرة رأوا وجهه الحزين يشرق بابتسامة باهتة ! .

★ ★ ★



بانتينج

(١٨٩١- ١٩٤١)

مكتشف الأنسولين

– لاريب أن اكتشاف الأنسولين فى العشرينات من هذا القرن ، هو فى طليعة الاكتشافات الطبية التى انتفعت بها البشرية ومازالت تنتفع .

وقد كان مرض السكر (أو السكرى) ، قبل اكتشاف هرمون الأنسولين ، من الأمراض القاتلة التى فتكت بالمصابين بها .. لذا يدين الآلاف من مرض السكر بحياتهم لبانتينج .

وقد ولد السير « فردريك جرانت بانتينج » BANTING ، فى بلده « إليستون » بمقاطعة أونتاريو بكندا .. وكان عالماً وباحثاً طبيباً ، أمضى حياته القصيرة ، ٥٠ عاماً ، فى الاشتغال بالفسيولوچيا .

وراع بانتينج كثرة الموتى بسبب مرض السكر .. ورفض الفكرة الشائعة آنذاك بأنه مرض عُضال لا علاج له .. فهرمون الأنسولين كفيل بكبح المرض أو وقفه عند حد لو أمكن عزل هذا الهرمون وتصنيعه على النحو المناسب .. فهو الذى تفرزه غدة البنكرياس فى الأصحاء بالمقادير الكافية لحرق الفائض من محتويات السكر فى الدم .. وهو الذى يؤدى إلى الإصابة بمرض السكر .. إذا عجز البنكرياس عن إفرازه ، أو تكاسل .

عرف بانتينج هذه المعلومات ، كما عرفها الكثيرون غيره من أطباء القرن التاسع عشر .. ولكنه تجاوز الحد الذى وقفوا عنده ، وقد تحسس إمكانية عزل

الأنسولين واستخلاصه من الحيوان .. ولكنه تحسس أيضاً الحاجة إلى مختبرات يجرى فيها التجارب .

وتقدم بانتينج من جون ماكلويد ، وكان بروفسور الفسيولوچيا فى جامعة تورنتو فى تلك الأيام .. وشرح له فكرته ، فأذن له ذلك البروفسور باستعمال مختبراته ، واختار له أحد تلاميذه مساعداً .. وكان اسمه تشارلز بست ، وعمره ٢٢ عاماً .

وانتهت سنة ١٩٢١ ، وتكللت تجارب بانتينج وبست بالنجاح ، حتى إذا حل شهر يناير ١٩٢٢ ، أعلن بانتينج أنه عثر على عقار لمرض السكر .. وذلك بالتعاون مع تشارلز بست .. وأن عقاره هذا نظير الهرمون الذى تفرزه غدة البنكرياس .. وأنه أطلق على ذلك الهرمون اسم « أنسولين » .. واتفق أن كان ليونارد تومبسون طالب المدرسة ، (١٠ سنوات) ، من نزلاء مستشفى تورنتو . وذلك بسبب إصابته الحادة بمرض السكر .. وقد استفحل المرض بالفتى ، بحيث هزل كثيراً وعجز عن تناول الطعام بيده ! .

ويئس الأطباء من معالجته وإنقاذه .. ووجد بانتينج فى تمبسون هذا ضالته المنشودة فانطلق فى معالجته بالأنسولين حقناً .

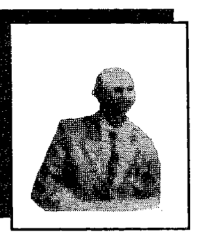
ولم تكد تمضى ٢٤ ساعة حتى تماثل الفتى للشفاء .. فكان أول من أنقذه الأنسولين من موت محقق فى التاريخ .

وجاءت سنة ١٩٢٣ ، وإذا بجائزة نوبل فى الطب والفسيولوچيا تُمنح إلى بانتينج وماكلويد .. أى أن شريكه فى الجائزة لم يكن تشارلز بست - شريكه فى منجزاته وتجاربه - وإنما چون ماكلويد .. صاحب المختبرات التى أُجريت فيها تلك التجارب .

وقد استاء بانتينج كثيراً لاغفال ذكر بست وتجاهل جهوده ، فأقدم على مقاسمته - أى بست - المكافأة المالية التى حصل عليها مع الجائزة .. وأقدمت جامعة تورنتو الكندية على إنشاء كلية أو دائرة فيها باسم بانتينج وبست .

وقد توفى بانتينج فى حادث تحطم طائرة عام ١٩٤١ .

★ ★ ★



روبرت جودارد

(١٨٨٢-١٩٤٥)

رائد صواريخ الفضاء

- شغف بالصواريخ منذ الصغر .. ولم يَخفَ شغفه على أحد فى بلدته (ورسستر WORCESTER) فى ماساشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية .. ولكن الشغف وحده لا يكفى .. إذ لابد من وجود الموهبة ولابد من توفر الدأب .. وقد اجتمعت الشروط الثلاثة جميعها لروبرت جودارد .

ذلك أنه لم يكن قد جاوز الثانية والثلاثين حين عُين مدرساً للفيزياء فى جامعة كلارك فى بلدته عام ١٩١٤ ، وحين سجل جهازين وصاروخين .. من تصميمه وصنعه .. فى تلك السنة نفسها .. وقد أجرى جودارد تجاربه الأولى عام ١٩٢٦ باستعمال وقود سائل .. واتخذ من مزرعة عمته إيفى حقلاً لتجاربه .

ونجحت التجارب ..

وفوجئ جودارد بالأوامر التى صدرت إليه من دائرة البوليس وحظرت عليه إطلاق الصواريخ فى الولاية .. ولاية ماساشوستس .. ذلك أن الضوضاء التى أحدثها صاروخه ، أزعجت الناس وأفزعتهم .. فشكوه إلى سلطات الشرطة .

لا عجب إذن أن حُرم المخترع الطموح الدعم الرسمى الذى حظى به الكثيرون ممن كانوا دونه نبوغاً وكفاءة ، وقد شعر جودارد بأمس الحاجة إليه ، وشعر بالحسرة لعدم ظفره به .

غير أن مشاعر المرارة تلك لم تدم طويلاً .. فقد شاءت الصدف أن يسمع الطيار تشارلز لندنبرج عن جودارد ومواهبه .. فحدَّث أحد الأغنياء الصناعيين والمحسنين بشأنه .. فلم يتردد هذا الغنى المحسن دانيل جوجنهايم فى منح جودارد مبلغ ٥٠٫٠٠٠ دولار .. كان ذلك عام ١٩٢٧ وهى السنة التى قطع فيها أوجست لندنبرج المحيط الأطلنطى منفرداً بطائرته للمرة الأولى فى التاريخ .

وما أسرع ما أنشأ جودارد محطة لتجاربه فى صحراء نيو مكسيكو .. بعيداً عن الناس واعتراضاتهم .. وراح يصمم الصواريخ ويطلقها كما يشاء .

وما لبث أن نجح عام ١٩٣٥ فى بناء صاروخ يعمل بوقود سائل وتفوق سرعتها سرعة الصوت .. ٧٦١ ميلاً فى الساعة ، وقد سجل من براءات الصواريخ التى اخترعها ما يزيد على ٢٠٠ .. وكان بعض هذه الاختراعات الأساس الذى تقوم عليه صواريخ هذه الأيام التى تعتمد على مراحل التقوية الثلاث .

بيد أن السُلطات المعنية فى الولايات المتحدة الأمريكية لم تُبالِ بما حققه جودارد من نجاح .. وقد أغفلت أو تجاهلت اختراعه السابق .. البازوكا ، المدافع المضادة للدبابات ، واختراعه اللاحق الذى صممه إبَّان الحرب العالمية الثانية ، والذى ضمن به لطائرات الأسطول الإقلاع من على سطح حاملات الطائرات .

وهكذا بقى جودارد رجلاً عادياً فى نظر حكومته .. حتى بدأ عصر الفضاء فى الخمسينيات .. وبدأت تتحسس خطورة اختراعاته .. ولكن بعد موته بسنوات عديدة ، خمس عشرة سنة على وجه التحديد .. فقد قررت عام ١٩٦٠ أن تكافئ المخترع الراحل وورثته بمبلغ مليون دولار لاستعمالها اختراعاته .





طلعت حرب

(١٨٦٧-١٩٤١)

الاقتصادى العظيم

– ولد محمد طلعت حرب فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٦٧ بقصر الشوق فى حى الجمالية بالقاهرة ، من أبوين كريمين لعائلتين من الشرقية .

نشأ فى القاهرة ، حيث كان والده حسن محمد حرب موظفاً بمصلحة السكة الحديد .. وبعد أن حفظ القرآن الكريم ، تابع تعليمه حتى نال شهادة مدرسة الإدارة والألسن .. ثم التحق مترجماً بقلم قضايا الدائرة السنية خلفاً لمحمد فريد .. ثم تدرج إلى أن أصبح مديراً لأقلام القضايا .. ثم عمل مديراً لشركة كوم امبو ، وأُحيلت عليه فى الوقت ذاته إدارة الشركة العقارية المصرية حيث تدرب على الأعمال المالية على يد خبراء ماهرين .. واستمر عمله فى هذه الشركة حتى مصَّرها وأصبحت غالبية رأس مالها فى أيدى المصريين .. استعان به بعض أصدقائه من كبار الزراع فى تنظيم أملاكهم الزراعية الواسعة وإدارتها ، فنجح نجاحاً كبيراً ، ومارس لحسابه بعض الأعمال التجارية ، وقتاً ما ، بجانب عنايته التى اشتهر بها فى إدارة أعماله الزراعية .

وكان يمكن أن يقف حظه عند هذا الحد من النجاح ، ولكن الفكرة القديمة ظلت تساوره .. وهى فكرة إنشاء بنك مصرى ، يديره مصريون بأموال مصرية .

استولت على قلبه واستأثرت بكل مشاعره ، وكان إيمانه بها إيماناً عميقاً ، فلم تبرح خاطره أبداً ، فكشف عنها لبعض أصحابه سراً وجهراً .. وقابله

الكثيرون بالفتور والتشكك .. ثم نادى بها فى مؤتمر مصرى كان منعقداً عام ١٩٠٨ ، فآمن معه بالفكرة قلة ، وتوقع له الكثيرون الإحباط المحقق ، ذلك أن أكثر المصريين فى ذلك الزمان كان قد تسلط عليهم وَهْم قاتل بأن الأعمال المالية والصناعية والتجارية ألغاز لا يقدر على فهمها إلا الأجنبى الغريب !.وثبت هذا الوهم فى النفوس إذ لم يكن فى مصر يومئذ مثال مصرى ناجح يمكن أن يُحتذى !..

وظل طلعت حرب معتصماً بإيمانه ، مقتنعًا بصواب فكرته ، مؤمنًا بإمكان تنفيذها وتحقيقها على مر الأيام ، فأخذ يدعو لها فى الصحف ، وينشرها بين الناس فى الكتب ، فقد ألَّف فى ذلك كتاباً فى عام ١٩١٠ عن «علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك المصريين أو بنك الأمة »..

وتابع كفاحه فى هذا السبيل الشاق سنين عددا ، حتى اشتعلت ثورة ١٩١٩ ، فقرر هو الآخر القيام بثورته الاقتصادية ، لتسير جنباً إلى جنب مع الثورة السياسية ، وأعلن مع بعض رفاقه ميلاد « بنك مصر » فى يوم الجمعة الموافق ٧ مايو عام ١٩٢٠ . .

وبدأ البنك صغيراً – ككل شىء – حيث تأسس برأس مال متواضع قدره « ثمانون » ألف جنيه ! واشترط محمد طلعت حرب أن تكون أسهم بنك مصر اسمية لا يملكها إلا مصريون ، كما قرر جعل اللغة العربية لغة البنك فى كل أعماله وشئونه . .

وسخر الكثيرون منه ، ومن ضآلة رأس المال ، ومن العمالة واللغة المصرية . .

ولم يعبأ هو لذلك ، وأعلن للناس برنامج البنك الذى لخصه فى تشجيع المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تعود على البنك وعلى البلاد بالخير الكثير ، وفى المساعدة على إنشاء الشركات المالية و الصناعية والتجارية والزراعية وكذلك إنشاء الغرف التجارية والنقابات التعاونية للزراع والصناع

والتجار ، وبث روح العمل والتضامن والنظام فى الشبيبة المصرية ، والحث على وضع أساس سليم للتربية الاقتصادية العلمية فى البلاد . .

ويدلنا هذا البرنامج الشامل على أن بنك مصر قد أسس ليكون بنكًا قوميًا بمعنى الكلمة ، يقوم للأمة بكل ما تحتاج إليه من مشروعات فى ميدان الإقتصاد حتى إذا تحققت لها كل مشروعاتها الحيوية أمكن للبنك حينئذ أن يتخصص فى عمل من أعمال البنوك . .

لذلك لم يقنع طلعت حرب بأن يكون بنك مصر مجرد بنك كالبنوك الأجنبية التجارية الكثيرة ، التى لم تفعل شيئًا يفيد الاقتصاد المصرى ، أو يعود بخير على أهل البلاد ، تنفيذًا لسياسة مرسومة تستوحيها فى الغالب من مراكزها الرئيسية فى الخارج . .

وأشرف طلعت حرب على أعمال البنك فى حرص وحذر . . وابتعد به منذ يومه الأول عن زحام السياسة والحزبية . .بل لقد فتح أبوابه لخدمة جميع المصريين ..عامة وخاصة على السواء . . ولاحت له تباشر النجاح ، وأصبح موضع تقدير الجميع ، واستحوذ على ثقة مواطنيه ، فأقبلوا عليه معتزين فخورين ، فزادت ودائعهم ، وزاد رأس المال فترة بعد فترة . . وخطبت وده البنوك التى كانت تناهضه ، وانتشرت فروعه ، وصار له مراسلون فى جميع الأنحاء . .

وأصبح بنك مصر البيئة العملية الصالحة التى تربى لمصر جيلها الجديد ، فأخرج لهم ذخيرة كبيرة من الصناع ، كما أخرج لها الكفاءة من رجال المال والاقتصاد . .

وبعد ذلك ، أسرع طلعت حرب فى تنفيذ الجزء الثانى من برنامجه ، فأنشأ مطبعة ومكتبة بنك مصر ، لتزويد البنك وفروعه ، وما قد ينشئه من شركات ، بالدفاتر والمطبوعات وأدوات الكتابة . ثم وجه عنايته إلى القطن – فجعل له سلسلة متصلة الحلقات كالحلج والنقل والغزل والنسج والتصدير والتأمين ..

واتصلت بسلسلة القطن حلقات الحرير والكتان . .

لقد نشأت شركات كثيرة تحت راية البنك استوعبت آلافًا مؤلفة من العمال المصريين ، وعاونت معاونة لايستهان بها على تحسين ميزان مصر التجارى ، وعلى تنمية إيرادات الخزانة العامة بما تدفعه لها من ضرائب . .

وفى عام ١٩٢٩ ، قدم بنك مصر لوزارة المالية تقريرًا ضخمًا عن الصناعات الأهلية التى تحتاج إليها مصر ، وعن تنظيم التسليف الصناعى ، وعن ضرورة إنشاء بنك صناعى ، لاختيار العاجل منها لتنفيذه بمعاونة الحكومة . .

ولم يقتصر جهد محمد طلعت حرب على خدمة مصر وحدها ، بل امتد نشاطه إلى البلاد العربية الشقيقة ، فقد كان من أوائل الذين عملوا لتحقيق الوحدة العربية بما قام به من زيارات للبلاد العربية باحثًا ودارسًا ، وما أنشأ من بنوك فى سوريا ولبنان ، وبما يسَّر لحجاج بيت الله الحرام من إعداد بواخر مصرية ، وإقامة فنادق ممتازة فى الأراضى المقدسة ، وسك عملة سعودية لتثبيت أسعار النقد هناك ، وإيفاد بعوث من الفنيين للبحث والاستقصاء . . لقد كان بنك مصر قدوة حسنة ، نهج نهجه كثير من البلاد العربية الأخرى ، وجعل المصريين والعرب يستردون ثقتهم بأنفسهم . .

وكانت ثورة اقتصادية واجتماعية قادها طلعت حرب بحزم وصبر وإيمان ومهارة . .

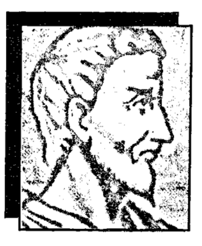
أما شخصيتة ذاتها فقد كان من شخصية أصحاب الأعمال الذين لايعترفون بالخيال ، وشخصية أصحاب الأقلام والإلهام . . فبجانب استغراق كل وقته فى ادارة البنك وشركاته ، وارهاق أعصابه بمثل هذا العمل الشاق المتواصل – كان ميالاً بطبعه إلى مناصرة الآداب والفنون ، فقد شيد دار التمثيل العربى بحديقة الأزبكية ، وشجع المسرحيات المصرية والعربية والغنائية ، فبلغ المسرح بفضل تشجيعه ، مكانة مرموقة فى ذلك الحين . .

وكان يقرب إليه النابهين من الكتاب والأدباء والشعراء . . وكان لماحًا ذكيًا إذا قُدم له مشروع صدقت فيه فراسته فى الحال . .

وكان يخشى فتنة الغرور على نفسه وعلى من يعملون معه ، فكان يضيق أشد الضيق بمن يسميه « زعيم مصر الاقتصادى » . .

وكان حازمًا جادًا فى إدارة أعماله . . يكره التفرنج والمتفرنجين ، ويميل بطبعه إلى كل ما هو عربى . . وكان صافى النفس ، طيب القلب ، كريمًا ، عطوفًا ، يرعى جانب ربه ووطنه فى كل عمل يتولاه . . توفى بالقرب من دمياط فى ٢١ أغسطس عام ١٩٤١ ، ودُفن بالقاهرة .

★ ★ ★



فيثاغورس

(٥٧٢-٤٩٧ق.م)

عبقرى الرياضيات

- فيثاغورس من أكبر عباقرة اليونان القدماء فى الرياضة والفلسفة قبل سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وكان إلى جانب ذلك مصلحًا دينيًا وأخلاقيًا وسياسيًا . .

ويعرف معظمنا اسمه ، حتى ولو لم تكن الرياضيات هى موضوعنا المفضّل ، وذلك بسبب النظرية التى تقترن باسمه ، والتى تنص على أنه : « فى المثلث القائم الزاوية ، يكون مربع الوتر - أى الضلع الأطول - مساويًا لمجموع مربعى الضلعين الآخرين » . .

والمعروف أنه اكتشف أيضًا أن : « مجموع الزوايا الثلاث لأى مثلث يساوى مجموع زاويتين قائمتين » . . كما يعتقد بعضهم أنه هو الذى فكّر فى جدول الضرب المعروف ، بالرغم من عدم وجود ما يثبت ذلك . . لقد كان فيثاغورس مفتونًا بالأرقام ، وأشهر أقواله : « **كل الأشياء أرقام** » . . وليس ذلك قولاً شاذًا ، كما قد يبدو لأول وهلة ، ويكفى أن نتذكر أن كل شىء فى العالم إنما يتكون من أعداد من الذرات مرتبة بأشكال مختلفة . . وفكرة تسمية الأعداد « مربعة » أو « مكعبة » إنما هى فكرته هو . .

وقد ولد فيثاغورس حوالى عام ٥٧٢ قبل الميلاد ، فى جزيرة ساموس ، samos جنوب بحر إيجه باليونان . . ومن دواعى الأسف ألا يصلنا شيء واضح عن مرحلة حياته الأولى . .

فالذى نعرفه أن جزيرة ساموس هذه كانت فى تلك الحقبة إحدى المراكز التجارية المهمة ، كما امتازت بثقافة مميزة . . وهذا ما أتاح لفيثاغورس ، وهو ابن مواطن ميسور ، أن يتلقى أفضل تعليم ممكن آنذاك . .

ويقال إنه لما بلغ السادسة عشرة بدأ يظهر نبوغه ، حتى عجز أساتذته عن الإجابة عن أسئلته . . لذلك انتقل للتتلمذ على طاليس الملطى ، أول إغريقى أجرى دراسة علمية للأعداد . . ولم يكن فيثاغورس مولعًا بالأعداد والهندسة فحسب ، وإنما بالعلوم الأخرى المعروفة ، فضلاً عن شغفه بعلوم الدين . .

ولما لم تكن هناك كتب منتشرة ، فقد كانت الطريقة المفضلة لمواصلة الدراسة هى الارتحال ومقابلة العلماء . .

وخلال الثلاثين سنة التالية وصلتنا أخبار عنه من فارس وبابل بالعراق ، وقيل من الهند كذلك . . كما قضى عدة سنوات فى مصر . . وقد اطلع على جوانب من ثقافات هذة البلاد ، ونهل من علومها . .

وفى الخمسين من عمره كان فيثاغورس قد تعلم الكثير ، فأراد أن ينشيء مدرسة ليعلم الآخرين . . فاستقر فى كروتونا Crotona ، وهى ميناء إغريقى جنوبى إيطاليا ، وكانت زاهرة يومئذ بثقافتها وحضارتها ، وبها مدرسة طبية شهيرة . .

وهناك اشتهر بسعة معارفه وعلو أخلاقه ، وحلاوة لسانه ، وسحر شخصيته . . حتى قيل إن مجلس الشيوخ هناك دعاه إلى وعظ الشعب ، فأذاعت عظاته البليغة شهرته ، وأقبل المعجبون به من شتى المدن فى ايطاليا الجنوبية وصقلية . .

وفى كروتونا أسس مدرسته حوالى عام ٥٢٩ قبل الميلاد ، وقيل إنها كانت جمعية دينية سرية ، إذن كانت مدرسته أقرب إلى أن تكون فرقة دينية من أن تكون مدرسة بالمفهوم الصحيح للكلمة . . وقد أصبحت فلسفية فيما بعد . .

والتحق بها عدد كبير من الطلاب .. وكانت الدروس تتناول درجات الحكمة الأربع : الحساب ، والهندسة ، والموسيقى ، والفلك . . وأيضًا واجبات الإنسان نحو الآخرين ، والتعاليم الدينية ، وفضائل المروءة والتقوى والطاعة والإخلاص . وهى الفضائل التى كانت ينادى بها المجتمع الإغريقى المثالى . . وكان الطلاب أو الأعضاء ، من الرجال والنساء ، وكلهم يصدعون بأمر فيثاغورس ، ويعيشون وفق تعاليمه وحكمته فى نظام دقيق مع أخوة صادقة . . ولم يكن لأحد منهم مال خاص به . . بل كانوا شركاء فيما يملكون ! فكانت تسيطر على معيشتهم العفة والبساطة والتقشف ، وكانوا يرون أن الروح سجينه الجسد ، فمن الواجب تخليصها من أرجاسه وآثامه بالتسامى وليس بالانتحار ، لأن الانسان ملك الإله . . وطريقتهم فى التسامى هى إطالة التفكير فى المسائل الفلسفية ، لتصفية الروح وانعاش العقل . .

وكان من مبادئ فيثاغورس الاعتقاد بتناسخ الأرواح ، فعندما يموت الانسان تنتقل روحه إلى جسم بشرى آخر أو جسم حيوانى ! . .

وبالطبع هذة النظرية خاطئة ، ولم يقم عليها أى دليل . .

وكان يرى أيضًا أنه لايمكن أن تتحرر الروح من سجن الجسد وتفوز بالخلود فى السماء ، إلاّ بعد حياه نقية . .

والحياة النقية – فى رأى فيثاغورس – تعنى حياة التقشف . . وهناك عدد من القواعد التى وضعها كانت أشبه بالطقوس الدينية . . وعلى سبيل المثال ، كان يحظر على تلاميذه أن يأكلوا الفول ! ، أو يقلبوا النار بقضيب من حديد ! ، أو يلتقطوا ماوقع على الأرض ! . .

وقد كانت الموسيقى عنده ذات أهمية بالغة . .

وكان يعتقد أن الأرض والكون مستديران . . ويرى أن التعليم المتكامل هو الذى يجمع بين الدراسة العلمية ، والقواعد الأخلاقية ، والدين . .

وقد كان تدريسه ، أو تعليمه ، خليطًا من التصوف والتحليل العقلى . .

وفضل فيثاغورس ، أو الفيثاغوريين ، فى الفلسفة أنهم أول من نقلوها من التفكير فى الحس والمادة الذى كان سائدًا قبلهم وفى أيامهم ، عند فلاسفة اليونان الطبيعيين ، فجعلوها فى التفكير المجرد الذى لايقوم على حس ولامادة .

وقالوا إن : « الكون عدد ونغم » . . والعدد أساس الأشياء ، ولم يفرقوا بين وحدة العدد فى الحساب ووحدة النقطة فى الهندسة ، فاعتبروهما شيئًا واحدًا . . كما خلطوا بين الجسم الطبيعى والجسم الرياضى . .

ومع اسهامهم فى تقدم الرياضيات والفلسفة ، أسهموا فى الفلك والموسيقى والطب والأدب . . وقد اختلطت آراؤهم – أى الفيثاغوريين – برأى إمامهم فيثاغورس ، فلاتمييز على اليقين بين تلك الآراء جميعًا . .

ومما يدعو للأسف أن تلامذته انغمسوا فى السياسة ، وكانوا كلما اكتسبوا مرتبة أو سلطانًا أظهروا احتقارهم للجماعات الأخرى الجاهلة ، التى لاتستطيع أن تحيا حياة التأمل الرفيعة . . وقد أدى هذا إلى سقوطهم ، بعد ماثار الناس عليهم . .

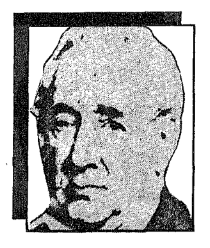
ويُروى أن فيثاغورس هو واضع كلمة « فيلسوف » . . لأنهم حين سمُّوه حكيمًا ، قال : « الحكمة خصلة إلهية ، إنما أنا فيلسوف » . .

وكلمة فيلسوف يونانية الأصل معناها « محب الحكمة » . .

وبعدما توفى هذا الفيلسوف الرياضى العبقرى ، ظلت تعاليمه ونظرياته تزداد انتشارًا . .

وبعد مائتى عام ، أقام مجلس الشعب تمثالاً لفيثاغورس فى روما ، تكريمًا له بوصفه أحد حكماء الإغريق الكبار .

★ ★ ★



جورج ستيفنسون

(١٧٨١-١٨٤٨)

مخترع القاطرة البخارية

- قصة القطارات ، كقصة السفن . . لم تقتصر على مخترع واحد ، كقصة السيارة وقصة الطائرة . . فجورج ستيفنسون ، وإن لم يكن مخترع القطار الوحيد ، إلا أنه كان بلاشك أهم مخترعيه . . هذا بالرغم من أنه لم يدخل المدارس ، أو المدارس ، أو يلتحق بالجامعات ! . . وكأن مواهبه الفطرية ، وعبقريته الفذة لم تكن بحاجة إلى صقل أو تعليم . .

ولد جورج فى بلدة (ويلام) فى إحدى مقاطعات انجلترا . . نورثمبرلاند وكان أبوه عاملاً ميكانيكياً ، مكلفاً بتشغيل أحد المحركات البخارية المنتشرة فى انجلترا فى تلك الأيام . .

وقد استعمل محرك (نيوكومن NEW COMEN) ، نسبة إلى مخترعه ، فى ضخ المياه من أحد مناجم الفحم الحجرى . . ودخل جورج معترك الحياة العملية مبكراً ، وبدون الالتحاق بأية مدرسة ، ومالبث أن أصبح مكلفًا كأبيه بتشغيل محرك نيو كومن . . وهو فى التاسعة عشرة من عمره . .

وتعطش ستيفنسون إلى تعلم القراءة والكتابة ، وذلك بقصد الاطلاع على أخبار حروب نابليون المثيرة آنذاك أولاً بأول ، فانتسب إلى إحدى المدارس الليلية . . ومأسرع ما خرج من عداد الأميين . . ولكن ذلك لم يشف غليله ،

ولطالما تمنى لو أن أباه أتاح له فرصة التعلم في مدارس نظامية . . وشعر جورج بضآلة دخله ، خصوصًا عقب زواجه المبكر ، فعمد إلى تعلم عدد من الحرف وممارستها . . وكانت حرفة الإسكافي - مصلح الأحذية - أولى تلك الحِرَف ، أعقبتها حرفة إصلاح الساعات ، ثم حرفة الخياطة ، خياطة الثياب النسائية لزوجات عمال المناجم . . ولكن عبقريته الميكانيكية مالبثت أن تجلت فيما يختص بالمحركات البخارية . . فعُين بمنصب كبير الميكانيكيين في مناجم كلنجورث .

وسارع ستيفنسون إلى إدخال ابنه الصغير روبرت في إحدى مدارس نيوكاسل ، وذلك من أجل الرياضيات خاصة ، يدرسها الابن والأب كذلك . . إذ كان يشارك ابنه في الاستذكار وإعداد الواجبات المدرسية ، ليلة بعد ليلة ..

وفي عام ١٨١٣ سمع ستيفنسون عن محرك بخارى جديد يسير على دواليب . . تسير بدورها على سكك من خشب . . وزار أحد المناجم القريبة الذي استعمل ذلك المحرك ، أو القطار البدائي لجر العربات المحملة بالفحم الحجري من داخل المنجم إلى خارجه . .

ولم يكن يعود إلى منجمه من تلك الزيارة حتى بنى قطارًا يفوق القطار الذي شاهده في زيارته . . فقد تمكن قطاره هذا من جر ثماني عربات ، تحمل ٣٠ طنًا من الفحم ، ويسير بسرعة ٤ أميال في الساعة . .

وحظي القطار الذي سموه بلوشر BLUCHER برضا الجميع ، ماعدا مخترعه . . الذي مضى في إجراء التجارب بقصد تحسينه ، حتى حقق الهدف ، وذلك بإعادة البخار الذي يلفظه القطار إلى المحرك ثانية ، بما يكفل للمحرك مزيدًا من القوة والانتظام .

وذاع صيت ستيفنسون بسبب قطاره هذا ، بل قاطرته . . فباع عددًا منها

فى غضـون السنوات القليلة التالية . . وطارت شهرته لدى اختراعه مصباح الأمان للمناجم . . وقد انتشر استعماله فى المناجم فى طول البلاد وعرضها . .

وجاء عام ١٨٢١ ، وإذا بستيفنسون يسمع عن مشروع كبير نسبيًا لبناء خط سكة حديد ، قرروا إنشاءه بين ستوكتون ودارلنجتون ، وقد اتجه تفكير القائمين على ذلك المشروع إلى الخيول لا المحركات البخارية ، لجر عربات ذلك القطار . . ولكنهم غيروا تفكيرهم لدى الاجتماع بستيفنسون ، فقد أقنعهم بفكرة المحركات البخارية ، وأثار حماستهم له ، بحيث كلفوه ببناء القاطرة البخارية التى تجر عربات القطار المرتقب .. وانتهى ستيفنسون من عمله عام ١٨٢٥ . . وسار القطار الجديد ، تجره القاطرة البخارية الجديدة ، وذلك لأغراض الشحن ونقل المسافرين عبر المسافة بين البلدين السالفتى الذكر . . وبسرعة ٢٤ كيلومترًا فى الساعة . .

ويعتبر اليوم الذى سار فيه القطار الرائد هو يوم مولد القطارات بمفهومها الحديث .

وهبت مدينتا المنطقة الكبريان . . مانشستر وليفربول . . تريدان قطارًا بخاريًا يليق بهما . . علمًا بأن المسافة التى تفصل بينهما تبلغ ٦٤ كيلومترًا . . ووقع الاختيار على ستيفنسون لابناء القاطرة فحسب ، ولكن للقيام بأعمال المسح والرسوم التحضيرية ، ثم بأعمال بناء السكة الحديد أيضًا . . هذا بالإضافة إلى بناء القاطرة والعربات . . أى أنه حظى بثقة سلطات المدينتين ، حتى كلف بتنفيذ المشروع كله . . وبكافة فروعه . .

وحملته الأعمال التحضيرية على المجابهة مع المزارعين اللذين وقعت أراضيهم على الطريق التى سيجتازها القطار . . فقد قاوموا المشروع بعنف ، وبذلوا قصارى جهدهم للحيلولة دون تنفيذه وذلك حفاظًا على محاصيلهم ، وقد

اعتقدوا أن استبدال القاطرات البخارية بخيول الجر سيؤدى إلى كساد سوق الشوفان . . ولكن عجلة التقدم كانت كالعاده أقوى بكثير من مصالح المعترضين وريبة المشككين . . وقد أحرزت النصر دائمًا ، وفى كل المجابهات التى وقعت بين الطرفين ، فيما سبق من مشاريع ومالحق . . وأحرزت نصرًا مبينًا فى مشروع سكة حديد ليفربول – مانشستر . .

والجدير بالذكر أن ستيفنسون بنى محركًا جديدًا خاصًا بذلك القطار . . أطلق عليه اسم (صاروخ) ROCKET ، نظرًا للسرعة التى مكنه منها (٥٨ كيلومتر/ساعة) لاعجب إذن أن عمت البلاد ثورة سكك الحديد . . فأقبلت المدن المختلفة على بنائها . . وحل المشاكل التى طالما عانتها فى ميدان المواصلات ، بما فى ذلك بناء الطرق البرية . . وبناء الجسور وصنع سكك الحديد والعربات والقاطرات ، وكانت هذة الأخيرة ، بل محركاتها ومخترع هذة المحركات ، محور تلك الثورة التى لم تقف عند حدود ، بل امتدت إلى أوربا والعالم الجديد عبر المحيط . .

ورفض ستيفنسون شتى الأوسمة التى منحوه إياها اعترافًا بفضله وتقديرًا لخدماته . وكان من بينها وسام الفروسية . . ورفض أيضًا عضوية مجلس العموم الفخرية ، ولكنه لم يتقاعس عن جنى المورد الكبير الذى ضمنته له جهوده ومواهبه . .

وتقاعد ستيفنسون عام ١٩٤٥ ، وتفرغ لأعمال البستنة – هوايته المفضلة – حتى وفاته عام ١٨٤٨ .





كريستوفر شولز

(١٨١٩- ١٨٩٠)

مخترع الآلة الكاتبة

- بدأت قصة الآلة الكاتبة فى بريطانيا عام ١٧١٤ ، حين منحت الملكة آن براءة اختراع آلة كاتبة لرجل إنجليزى يدعى هنرى ملْ . .

إلا أن ذلك الاختراع بقى طى المجهول ولايُعرف عنه شىء . . ومضت مائة عام أو تزيد قبل أن تمنح البراءة الثانية عام ١٨٢٩ لمسَّاح أمريكى اسمه وليم أوستن برت . . ولكن برت هذا عجز عن تطوير اختراعه بسبب عدم توافر المال . . ومضت أربعة أعوام على ذلك حين نجح الفرنسى (زافير بروجان) فى وضع آلة كاتبة ، تستطيع على حد قوله : « مضاهاة الخطاطين من حيث سرعة الكتابة » . . على أن تلك الآلات جميعًا لم تعد كونها محاولات بدائية لم يكتب لها البقاء . . فالآلة الكاتبة التى نعرفها فى الوقت الحاضر انما ابتكرت وطورت فى الولايات المتحدة . . فهى اختراع أمريكى صميم ، يعود الفضل الأكبر فى استكماله إلى كريستوفر شولز . SHOLES . وكانت نقطة البدء فى أوساط القرن الماضى وفى دار الجريدة التى امتلكها شولز وشريكه . . فقد فكر الرجلان فى صنع آلة ترقيم للجريدة ، ومضيا يجريان المحاولة بعد الأخرى ، حتى رآهما رجل ثالث هو جليدين GLIDDEN ، فشجعهما على مواصلة مساعيهما ، وعلى محاولة صنع آلة كاتبة بدلاً من آلة ترقيم . .

واستجاب الرجلان ، وتكررت محاولاتهما حتى بلغت ٥٢ محاولة . . ولم يكتب لهما النجاح إلا فى المحاولة الأخيرة ، الثانية والخمسين ! ، وذلك فى عام ١٨٦٧ . . ثم سجلا اختراعهما فى السنة التالية . .

ولكن شريك كريستوفر هذا ، وجليدين أيضاً ، مالبثا أن تخليا عن المشروع ، مشروع تطوير الاختراع واستثماره . .

ومضى شولز فى العمل على تحسين اختراعه . . واستغرق منه ذلك بضع سنوات . . ثم اتفق مع توماس إديسون ، المخترع الشهير بقصد تطوير آلته لتصلح للاستعمال فى التلغراف . .

ولما عجز شولز عن إحراز ترجمة مورس (شفرة التلغراف) بالسرعة المطلوبة، عمد إلى بيع اختراعه إلى شخص يدعى رمنجتون ، وذلك عام ١٨٧٣، مقابل (١٢٠٠٠) دولار . .

ومالبث رمنجتون هذا أن باع الآلة إلى مؤسسات صناعية مستقلة . . نظراً لقلة موارده ، وبالتالى لفشله فى تصنيع الآلة على نطاق واسع . .

كان ذلك عام ١٨٨٦ . . أى قبل نجاح تلك المؤسسات فى مهمتها بنحو ربع قرن . . ذلك أن استكمال الآلة الكاتبة وانتاجها على نطاق تجارى وتصديرها إلى الخارج لم يبدأ إلا عام ١٩٠٩ . . وتجدر الاشارة إلى أن العقبة التى عرقلت تطوير الآلة الكاتبة كانت فى ترتيب الحروف . . فلطالما تشابكت الحروف ، وتشابكت القضبان التى تحملها . . وتوقفت الآلة عن العمل . . ووجدوا الحل لتلك المشكلة فى تحديد الحروف الأكثر استعمالاً وإبعادها بعضها عن بعض ما أمكن .





ايجور سيكورسكى

(١٨٨٩-١٩٧٢)

مخترع الهليكوبتر

- تتميزحياة سيكورسكى ، بأنها امتدت حتى جمعت بين بداية عصر الطيران ، التى تتمثل فى نجاح الأخوين رايت فى اختراع الطائرة . . وبين ذروة ذلك العصر التى تتمثل فى نجاح الإنسان فى غزو الفضاء . .

ولد فى كييف فى روسيا فى ٢٥ مايو عام ١٨٨٩ ، وكان أبوه أستاذ علم النفس (بروفسور) فى جامعة كييف . . وكان فى الوقت نفسه طبيبًا مُجازًا ويمارس الطب . . بخلاف أمه التى كانت طبيبة مُجازة هى الأخرى ، ولكنها لم تمارس المهنة ، ذلك أن ميولها الفنية الجارفة طغت على تخصصها . . وبلغ من ولعها واهتمامها بليوناردو دافنشى أن أثارت فى ابنها الفتى الإعجاب به ، ومحاولة السير على منواله ، فيما يتصل باختراع الطائرات عامة ، واختراع الطائرة العمودية بصفة خاصة . .

ومما يُذكر هنا أنه صنع طائرة هليكوبتر من مطاط وذات محرك ، وهو فى الثانية عشرة من عمره . . والطريف أن طائرته اللعبة تلك طارت بالفعل وارتفعت فى الهواء قليلاً . .

بدأ دراسته الجامعية فى الأكاديمية البحرية فى بطر سبورج (لنينجراد) التى التحق بها عام ١٩٠٣ ، بقصد التخرج فيها ضابطًا محترفًا . . ولكن ميوله الهندسية غلبته ، وحملته على الاستقالة من الخدمة عام ١٩٠٦ . .

وتوجه سيكورسكى إلى باريس فى صيف ١٩٠٨ ، حيث اجتمع بالأخوين رايت ، وبآخرين ممن كان لهم صلة باختراع الطائرات . .

وفكر ايجور طويلاً حتى اقتنع فى النهاية ، بأن الطيران الحقيقى إنما هو الطيران العمودى ، ناسجًا فى ذلك على منوال ليوناردو دافنشى . .

وبدأ المرحلة الأولى من اختراعاته فى كييف ، عام ١٩٠٩ ، مستهدفًا بناء طائرة هليكوبتر . . ولما مُنى بالفشل فى محاولته الأولى (١٩٠٩) والثانية (١٩١٠) ، قرر إرجاء المحاولة الثالثة ، حتى يستكمل نضجه العلمى ، ويستكمل عصره تقدمه التقنى . . ومضى ثلاثون عامًا قبل أن يقوم المخترع بمحاولته الثالثة تلك . .

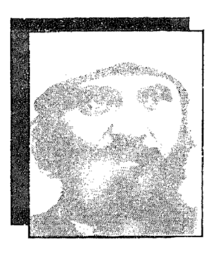
ثم كانت المرحلة الثانية . . وقد تكللت باختراع طائرة عادية – لاعمودية – ذات أجنحة ثابتة ومزدوجة ، على غرار طائرة الأخوين رايت . . ونجح سيكورسكى فى أول طيران له بطائرته تلك ذات المحرك (S-2) عام ١٩١٠ . . وأحدث تحسينات على تلك الطائرات فكان طراز 55.54.53 . وجاء عام ١٩١٣ ، وظهرت طائرته (ليجراند)Le Grand الشهيرة ، وحسبنا أنها تعتبر الطائرة الأم لأكثر الطائرات الحديثة . . طائرات الركاب التجارية ، وقاذفات القنابل العسكرية على وجه التحديد . .

وقامت الحرب العالمية الأولى . . واندلعت الثورة البلشفية فى روسيا . . وانهارت ألمانيا . . فشعر سيكورسكى بضرورة الهجرة إلى الولايات المتحدة . . فيمم شطرها ، ووصل إلى نيويورك مهاجرًا عام ١٩١٩ . .

وهناك ، فى أمريكا ، بدأت المرحلة الثالثة من اختراعات سيكورسكى ، وانتهت بابتكار طائرة الهليكوبتر التى مالبث أن اكتسحت الأسواق دون منازع وانتشرت فى مشارق الأرض ومغاربها . .

والجدير بالذكر أن سيكورسكى لم يهدف من اختراع الطائرة العمودية ، إلا إلى القيام بأعمال النجدة والإغاثة إبّان الكوارث ، كالحرائق والفيضانات والمجاعة وما إلى ذلك . . أما تطوير طائرته بحيث أصبحت طائرة هجوم عسكرية وأداة تدمير ، فلم يخطر له ببال .

★ ★ ★



الأفغانى

(١٨٣٩- ١٧٩٨)

مُصلح الشرق

– إنه باعث اليقظة فى الشرق ورائد نهضته ، المصلح والثائر والفقيه والرحّالة والخطيب . . ولد جمال الدين الأفغانى عام ١٨٣٩ ، فى قرية « سعد أباد » بكابول عاصمة أفغانستان . .

وهو ينتمى لأسرة تنتسب إلى الإمام على ، كرم الله وجهه ، ويقال إنها كانت تحكم الولايات الأفغانية ، ولكن الملك « محمد خان » غلبها على أمرها واغتصب الولاية منها . .

انتقل مع والده إلى كابول ، حيث عنى بتربيته تربية اسلامية صحيحة ، وساعده على ذلك فطنة جمال الدين وذكاؤه الخارق وتوقد قريحته . .

درس النحو والصرف والبيان والتاريخ والعلوم الشرعية ، وكذلك المنطق والفلسفة والسياسة ، كما درس العلوم الرياضية والفلك وبعض نظريات الطب والتشريح . . وسافر إلى الهند وأكمل دراسته فيها . .

أدى فريضة الحج عام ١٨٥٧ ، وجال فى كثير من البلاد الإسلامية ، ووقف على مدى تفككها وعدم ترابطها ، وأحس بما يضمره الإنجليز للانقضاض على الدول الاسلامية وخاصة إيران ومصر ، وكذلك بلاده « أفغانستان » . . واستغرقت رحلته هذه عاماً تقريباً ..

عاد إلى بلاده ، وعمل بالحكومة فى عهد الأمير « دوست محمد خان » ثم فى عهد ابنه « شير محمد خان » ثم أصبح الوزير الأول لدى الملك « محمد أفضل خان » . .

ولما تفاقم الخلاف الذى نشأ بين أفراد الأسرة المالكة ، وتدخلت بريطانيا فى شئون البلاد ، غادر الأفغانى أفغانستان إلى الهند ، حيث ضيق عليه الإنجليز الخناق ، فتركها إلى مصر عام ١٨٦٩ ، وهو ناقم أشد النقمة على الإنجليز ودعا ضدهم ، كما بصَّر المصريين بحقوقهم وبمدى ما يعيشون فيه من ظلم وظلام . .

واتصلت بينه وبين تلميذه الإمام « محمد عبده » أسباب المعرفة وأواصر الصداقة والصحبة عام ١٨٧٠ . . وارتاب رجال الأزهر فى جمال الدين فهاجموه ، فآثر أن يترك القاهرة إلى تركيا . . وهناك خشى بأسه وفطنته شيخ الاسلام هناك فكاد له وندد به . .

عاد الأفغانى إلى مصر عام ١٨٧١ ، حيث رحب به رئيس الوزراء « رياض باشا » وأكرم وفادته وعاد إلى نشر دعوته الإصلاحية وتجميع تلاميذه ومريديه الذين زاد عددهم فى مدى السنوات الثمانى التى عاشها فى مصر . .

كرس دعوته لتحرير مصر من نيران استعباد الحاكم المستبد ومن تدخل الإنجليز الطغاة ، كما دعا لإصلاح النفوس والعقول بالتربية والتعليم ، والتخلص من العادات الشرقية البغيضة المبنية على التواكل والاستسلام والخمول .

عاد رجال الأزهر لمهاجمته لما دعا لنشر العلوم الحديثة وتدريسها فى الأزهر .

لم يفت ذلك فى إصراره على مواصلة السير فى دعوته ، وخاصة الدعوة لتوحيد الكلمة ورأب الصدع فى الأمة الإسلامية كلها ، ومصر خاصة .. وطالب

بوجوب مقاومة الإنجليز بعد تدخلهم السافر فى شأن مصر ، وفى شئونها المالية وشرائهم أسهم فى قناة السويس عام ١٨٧٥ .

وقد التقى بالخديوى « توفيق » قبل توليه العرش ، بناءً على رغبة توفيق نفسه الذى وعده بإشراك الأمة فى الحكم ، وبالإصلاحات التى ينادى بها إذا ما آل العرش إليه .

وعندئذ عَظم شأن الأفغانى ، وكثر تلاميذه ومريدوه ، الذين طافوا بمصر ينشرون دعوته ، وعلى رأسهم : محمد عبده ، وعبد الله نديم ، ومحمود سامى البارودى ، والمويلحى ، وأديب إسحق .

ولما أصبح توفيق خديواً على مصر ، تنكر لوعده ، وتنكر لجمال الدين وآثر مرضاة الإنجليز فحرّض عليه ، فانقض عليه رجال الشرطة فجراً ، واقتادوه إلى دارهم قسراً ثم حملوه عُنوة إلى محطة السكة الحديدية ، وأركبوه القطار إلى السويس ، التى غادرها إلى الهند فى ٢٢ أغسطس ١٨٧٩ .. وازداد الناس فى مصر تعلقاً بمبادئ جمال الدين ، فكان أن أثمرت تنبيه الأذهان وقيام ثورة عرابى ، ونضج الوعى القومى فى البلاد .

بقى فى الهند سنوات ، ثم غادرها إلى أوربا فى أواخر عام ١٨٨٣ ، حيث زار لندن ولم يمكث بها طويلاً لأن الانجليز لا يرغبون فيه ، فسافر إلى باريس لنشر دعوته ضد الإنجليز .

وهناك التقى به تلميذه محمد عبده ، وأسسا معاً جمعية هدفها اعادة عزة المسلمين ومجد العرب ، كما أصدرا جريدة « العروة الوثقى » التى حملت على الظلم والاستعمار والإنجليز ولكنها لم تستمر طويلاً .

ولما قامت ثورة المهدى فى السودان، تودد الانجليز لجمال الدين الأفغانى، وعرضوا عليه عرش السودان ، ليستأصل جذور فتنة المهدى ، فلما رفض

وأخفقت ثورة السودان ، عاد الإنجليز لطغيانهم فى مصر والسودان وجنوبيه .

انفض كثيرون من تلاميذ جمال الدين عنه ، لاختلاف وجهتى النظر فى وسيلة الإصلاح ، فترك باريس حزينــاً ، وذهب إلى إيران بدعوة من الشاه « ناصر الدين » ، ووصلها فى أواخر عام ١٨٨٥ ، واستقبله الشاه فى حفاوة بالغة ، ونصبه وزيراً للحربية ، فالتف حوله الإيرانيون لما وجدوه فيه من علم غزير ، وإلمام بشئون السياسة والحياة والعلوم الحديثة ، وقدرته على المقارنة بين الأديان والتبحر فيها .

وخشى الشاه من هذه المكانة التى بلغها الأفغانى ، وأحس الأفغانى بهذه المخاوف فاستأذنه فى السفر ، فأذن له وغادر إيران إلى حدود روسيا عام ١٨٨٦ ، وأقام فى « بطرسبورج » .

ظل فى روسيا أربع سنوات ، والتقى بالقيصر الذى لم يعجبه هذا المصلح الذى يهاجم الأباطرة والملوك ، وطلب من حاشيته العمل على إبعاده .

وفى أثناء وجوده فى بطرسبرج ، زارها شاه إيران ، والتقى بالأفغانى ، وعرض عليه العودة إلى إيران فرفض .

ولما سافر إلى « ميونيخ » فى ألمانيا ، سافر الشاه إلى هناك ، والتقى به مرة ثالثة ، ورجاه مرة أخرى ، واشترك فى الرجاء معه كبار الألمان ، فعاد برفقته إلى إيران ، حيث واصل رسالته فى الإصلاح ، والتف حوله الناس فى مظهر اجتماعى عظيم .ولكن الشاه عاد فحنق عليه وطرده شر طردة مكبلاً مُهانـاً ! .

لجأ إلى البصرة بالعراق عام ١٨٩١ ، وبقى بها سبعة أشهر ، ورغب فى السفر إلى جزيرة العرب ، فاستأذن حاكم البصرة من السلطان عبد الحميد فأبى عليه ذلك .. ولما استأذن فى السفر إلى انجلترا سمح له ، فأسرع إليها

حيث دعا ضد شاه إيران وهاجمه في عنف ، فبعث إليه الشاه بسفيره فى لندن يرجوه الكف عن التعريض به ، وعرض عليه مبلغاً كبيراً من المال فرفض الأفغانى .. وتوسط السلطان عبد الحميد - بناء على رجاء الشاه - فبعث هو أيضاً بسفيره التركى « رستم باشا » إلى الأفغانى يرجوه الكف عن مهاجمة الشاه فرفض للمرة الثانية .

ولجأ السلطان عبد الحميد إلى شيخ الإسلام التركى ، الذى ألح على الأفغانى فى الحضور إلى الآستانة ، فقبل وسافر إليها حوالى عام ١٨٩٣ .. وهناك أكرمه السلطان أول الأمر ، ثم ضاق بدعوته إلى الإصلاح .. وعندئذ عرض عليه - لإسكاته - منصب شيخ الإسلام .. ولكن هذا العرض أوغر صدر « أبو الهدى الصيداوى » شيخ الإسلام التركى ، فكاد للأفغانى ، وحاربه ووصفه بالزندقة والكفر ! ..

وفى مارس ١٨٩٦ ، قُتل شاه إيران ، فأظهر الأفغانى غضبه علناً ، مما جعل السلطان عبد الحميد يتوجس خيفة منه ، فشدد عليه الرقابة ، وجعله كالسجين فى قصره الذى يعيش فيه .

ولما أحس الأفغانى بذلك بعث إلى مستشار السفارة البريطانية فى تركيا ليعمل على إخراجه منها ، ولكن السلطان عندما علم بذلك رجا الأفغانى ألا يلجأ لحماية دولة أجنبية ، وأقسم ألا يفرق بينهما سوى الموت .

وفى صباح الثلاثاء ٩ مارس عام ١٨٩٧ ، توفى جمال الدين الأفغانى متأثراً بمرض السرطان ، بعد أن أخفقت العملية الجراحية التى أُجريت له .. وقيل إنها أخفقت عمداً ! .

وقد كشف عن مقبرته صديق أمريكى للمسلمين ، كان معجباً بالأفغانى ، اسمه « تشارلز كرين » ، فبنى له مقبرة لائقة عام ١٩٢٦ .

وفطن العالم الإسلامى إلى وجوب تكريم الراحل العظيم ، فنقل رفاته إلى مسقط رأسه فى أفغانستان عام ١٩٤٤ .

إن الأمة الإسلامية قاطبة ، ومصر خاصة ، تدين لهذا الرجل العظيم ، بما تحقق لها من وثبات ، ولا ننسى له أبداً أنه كرَّس حياته مضحياً فى الدعوة لنصرة الإسلام والمسلمين ، وجمع شملهم وتبصيرهم بحقهم فى حياة حرة أبية كريمة ، وتحذيرهم من المستعمرين المتربصين بهم ومن الحكام المستبدين .

وتذكر له مصر أنه وهب لها حبه وإخلاصه ، وأنه غرس فيها مبادئ الإصلاح ، التى سارت على هديها حتى صارت إلى ما صارت إليه من عزة ومنعة واعتزاز .

وصفه تلميذه الإمام محمد عبده بقوله : « سليم القلب ، حديد المزاج ، شديد العزم ، شجاع مقدام ، كثير البذل ، قوى الاعتماد على الله، لا يبالى بصروف الزمان ، قليل الحرص على الدنيا ، بعيد عن الاغترار بمتاعها وزخرفها راغب عن المادة ، متعفف عن لذات الحس ، مؤثر بليغ الروح . كَلِفٌ بمباهج المعرفة » .

ولم يتزوج الأفغانى ، وأبى أن يَعْلق قلبه بالمال والبنين أو الرتب والمناصب ، وإنما أراد أن يقضى حياته حراً طليقاً كالهواء أو كالطير على الغصون ، أو « كالليث لا يعدم فريسة أينما ذهب » ، كما وصف هو نفسه .. وقال عنه المؤرخ الفرنسى ، إرنست رينان ، بعد ما قابله واستمع إليه وتأثر به : « كنت أتحدث إليه – أى الأفغانى – فكان يخيَّل إلىَّ من حرية فكره ، ونبالة طبعه ، وإخلاص قلبه ، أنى أرى وجهاً لأحد معارفى القدماء ، وأنى أشهد ابن سينا ، وابن رشد ، أو واحداً من أولئك الأحرار العظام الذين مثَّلوا ، خلال خمسة قرون . تقاليد الفكر الإنسانى » ..

وقد دعا إلى ما كان يسميه « الجامعة الإسلامية » ، التى ترمى إلى اتحاد جميع الشعوب التى تعيش فى كنف الإسلام ، لكى يتيسر لها التخلص من سيطرة الاحتلال الأجنبى .

وكان يقول فى ذلك : « إن الدول الغربية تنتحل الأعذار فى هجومها وعدوانها على البلاد الإسلامية وإذلالها وإكراهها ، وترى أنها من الانحطاط والهوان بحيث لا تستطيع أن تكون قوَّامة على شئون نفسها بنفسها ، فى حين أن تلك الدول عينها لا تكف عن التذرع بألوف الذرائع ، حتى بالحرب والحديد والنار ، للقضاء على كل حركة من حركات النهضة والإصلاح فى البلاد الإسلامية ، ومن ثم يجب على العالم الإسلامى أن يتحد فى حِلْف دفاعى كبير ليستطيع بذلك أن يصون نفسه من الفناء » ..

ويقول أيضاً :

« الشرق .. شرق .. لقد أمعنت فكرى لتشخيص دائه وتحرى دوائه ، فوجدت أقتل أدوائه وما يعترض سبيل توحيد الكلمة فيه ، داء انقسام أهليه ، وتشتيت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ، فقد اتفقوا على ألاَّ يتفقوا ، ولا تقوم على هذا لقوم قائمة » .

ويقول :

« كان لدى أهل الشرق شعار قوى جميل ، عبَّر عنه الشاعر العربى حين قال :

عِش عزيزاً أو مِت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

لكن مما يؤسف له أن الشرقيين ، أفراداً وجماعات ، قد تنكروا لهذا الشعار ، منذ زمان ، ورضوا بحياة المذلة والاستكانة ، فهبطوا إلى الحضيض ،

فى حين أن الغربيين الذين توارثوه منذ عهدٍ ليس ببعيد ، قد جعلوه مثلهم الأعلى ، وساروا فى حياتهم على مقتضاه ، فبلغوا أعلى مراتب العظمة والكرامة .. فلابد إذن من عمل جديد ، يبث فى الشرق روحاً جديدة ، ويربى فى أبنائه جيلاً جديداً .. لابد من قيام جمعيات للخلاص ، يتولى أمرها رجال من ذوى الإخلاص والإباء ، يقطعون على أنفسهم وعلى مواطنيهم عهداً ألا يقرعوا لذوى السلطان باباً ، وألا يغرهم الوعد ولا يثنيهم الوعيد ، وأن لا يسكتوا حتى يُقصوا عن مناصب القيادة والرياسة جميع المتخاذلين والمنافقين والمهرجين » .

★ ★ ★

المصـــــادر

★ **موسوعة العلماء والمخترعين** :إبراهيم بدران ومحمد أسعد فارس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

★ **علماء خالدون** : سمير أبو حمدان ، دار اقرأ .

★ **زعماء وفنانون وأدباء** : كامل الشناوى ، دار المعارف .

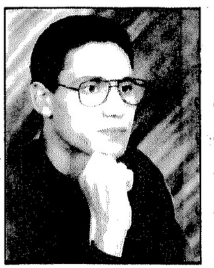
★ **قصة الفلسفة** : وِلْ ديورانت ، مكتبة المعارف ، بيروت .

★ **مُشَرِّفة بين الذَّرَة والذِرْوَة** : محمد محمد الجوادى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

★**عمالقة وروّاد** : أنور حجازى ، الدار القومية للطباعة والنشر .

★ **دائرة معارف الشعب** : المجلد الأول والثالث ، دار الشعب .

★ ★ ★



موسوعة المشاهير

المعرفة مفتاح الحقيقة ، وبدونها لا يرجى ولا يمكن تحقيق أى تقدم أو إنجاز ، ولأن طريق المعرفة والتفكير العلمى والثقافة المستنيرة ، صعب وشاق ، كان لزاماً على من يرتاده أن يتسلح بالصبر والمثابرة .

واستمراراً لسياسة **دار الأمين** فى الأخذ بيد الشباب ، المتعطشين للمعرفة ، الباحثين عن أسباب التفوق العلمى ، نقدم العدد الثالث من موسوعة المشاهير ، رجالاً ونساءً ، من بلدان مختلفة ، وثقافات متباينة ، وفترات زمنية متباعدة ، ومجالات بحث واجتهادات إنسانية نافعة ، ولكن القاسم المشترك بينهم جميعاً ، هو حب العلم والمعرفة ، والإصرار على النجاح ، والأخذ بالأسباب ، والمثابرة ، وحسن اختيار القدوة .

ومن بين من نقدمهم فى هذا العدد : ابن رشد ، سقراط ، مصطفى مُشَرَّفَة ، بيكاسو ، كليوباترا ، رمسيس الثانى ، تيودور بلهارس ، زكى مبارك ، ابن خلدون ، باخ ، طلعت حرب ... وغيرهم .. نموذجاً يُحتذى لأبنائنا ولكل من ينشد المجد والشهرة والخلود .. له ولوطنه .

والله من وراء القصد ...

الناشر

دار الأمين   طبع ★ نشر ★ توزيع   DAR AL AMEEN

٨ شارع أبو المعالى (خلف مسرح البالون) العجوزة ت : ٣٤٧٣٦٩١
١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفى) القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦